

موسوعة الجنسانية

العربية والإسلامية قديما وحديثا

(الجزء الأول)

مجموعة باحثين

Arabic and Islamic sexual
encyclopedia, ancient and modern

By: Group of Researchers

Editor: Dr. Mohammad Abdul Rahman Younes

كتبت هذه الموسوعة برؤية نقدية ثابتة للثقافة الجنسية العربية والإسلامية. ولقد تمحّصت في تاريخها كما في أدبها بروح البحث العلمي الرصين.

ولئن وجد القارئ فيها ما سوف يفاجئه، فذلك إنما يعود إلى حقيقة أن الثقافة الجنسية العربية والإسلامية المعاصرة كثيرا وما قعت ضحية التصور المتطرف نفسه الذي دفع الجنس (المشروع منه وغير المشروع) إلى منطقة مظلمة تغمرها الوسواس والافتراضات الزائفة، والتصورات المقنّعة بما لم يكن مألوفا في مختلف العهود الإسلامية.

(الناشر)

موسوعة الجنسانية

العربية والإسلامية قديما وحديثا

الكتاب الأول

بحوث ودراسات نقدية عامة

مجموعة من الباحثين

إعداد وإشراف: أ. د. محمد عبد الرحمن يونس

دار إي-كتب



لندن، حزيران - يونيو 2018

Arabic and Islamic sexual encyclopedia, ancient and modern

By: A group of researchers

Editor: Dr. Mohammad Abdul Rahman Younes

All Rights Reserved to the authors ©

Published by E-Kutub Ltd

Distribution: Amazon, Kindle, Google Books, Play Store & e-kutub.com

ISBN: 978-1-78058-372-3

First Edition

London, Jun. 2018

*** **

الطبعة الأولى،

لندن، حزيران – يونيو 2018

موسوعة الجنسية العربية والإسلامية قديما وحديثا – الكتاب الأول

المؤلف: مجموعة باحثين

إعداد وإشراف: أ.د. محمد عبد الرحمن يونس

الناشر: E-kutub Ltd، شركة بريطانية مسجلة في إنجلترا برقم: 7513024

© جميع الحقوق محفوظة لمجموعة الباحثين

لا تجوز إعادة طباعة أي جزء من هذا الكتاب إلكترونيا أو على ورق. كما لا يجوز الاقتباس من دون الإشارة الى المصدر.

أي محاولة للنسخ أو إعادة النشر تعرض صاحبها الى المسؤولية القانونية.

إذا عثرت على نسخة عبر أي وسيلة أخرى غير موقع الناشر (إي-كتب) أو غوغل بوكس أو

أمازون، نرجو إشعارنا بوجود نسخة غير مشروعة، وذلك بالكتابة إلينا:

ekutub.info@gmail.com

يمكنك الكتابة الى المشرف على العنوان التالي:

younesmoon@gmail.com

الفهرس

- المقدمة - الجنسانية مشروعا معرفيا ونقديا في الكتابات القديمة، وفي الدراسات والبحوث الحديثة - أ. د. محمد عبد الرحمن يونس7
- تشكيل المفردة بنائيا في المجموعة القصصية 21
- (ذكريات ومواجه على ضفاف عدن) لمحمد عبد الرحمن يونس - د. هند عباس علي 21
- تمظهرات الجنسانية الأنثوية بين الشبقية والطهرانية 33
- رواية "نساء كازانوف" لواسيني الأعرج أنموذجا - د. زينب بن هلال 33
- الجنس بين الكبح وسقوط المحرمات - المهدي نقوس 59
- الجنسانية في السينما العربية، السينما المصرية (أنموذجا) - معينة سليمان عبود 91
- الحب والجنس في كتابات الفقهاء والشيوخ - أ. د. محمد عبد الرحمن يونس 115
- دلالية الخطاب الجنسي في روايات: التفكك، عرس بغل، سوناتا لأشباح القدس . بين المشهدية الجنسية والتظهير. د. عايدة حوشي 143
- الشخصية الإشكالية المادية في الرواية العربية
- رواية: لحظة القبض على حشاش، أنموذجا - جعفر كمال 169
- سعار الشبقي والجنساني في حياة ملوك ألف ليلة وليلة وسلاطينها - دراسة نقدية في متن بعض حكايات ألف ليلة وليلة - أ. د. محمد عبد الرحمن يونس 195
- الشذوذ الجنسي في مصر خلال عصر سلاطين المماليك - سلوك العامة نمودجا - (1250 - 1517م) - د. أشرف صالح محمد سيد 211

- صورة المرأة في مرويات العصور المتأخرة قراءة سيميائية في كتاب ابتلاء
الأخيار بالنساء الأشرار - أ. د. م. سعيد عبد الهادي المرهج 245
- قراءة في كتاب: الحب بين المسلمين والنصارى في التاريخ العربي. - عرض
ودراسة: أ. د. محمد عبد الرحمن يونس 269
- الماهية الأنثوية بين الخطابات الشبقية والخطابات الصوفية - أ. د. م فريدة
مولى 283
- الخاتمة - د. هند عباس علي 303
- المشاركون في تأليف الجزء الأول من هذه الموسوعة 306

الباحثون المشتركون في هذا الكتاب

(حسب التسلسل الألفبائي)

- 1 - د. أشرف صالح محمد سيد. جامعة ابن رشد، أمستردام، هولندا.
Dr. Ashraf Salih Mohamed Syed
- 2 - أ. جعفر كمال. لندن.
Jaafar Kamal
- 3 - د. زينب بن هلال. جامعة وهران، معهد الترجمة، الجزائر.
Dr. Zaineb Benhellal
- 4 - أ. د. م. سعيد عبد الهادي المرهج. جامعة بغداد، كلية التربية للبنات/ كلية
دجلة الجامعة، العراق.
Dr. Saeed Almurhij
- 5 - أ. م. د. عائدة حوشي. جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية الجزائر.
Dr. Haouchi Aida
- 6 - أ. د. م. فريدة مولى. جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية، الجزائر.
Dr. Farida Moulla
- 7 - أ. د. محمد عبد الرحمن يونس. جامعة ابن رشد في هولندا/ كلية دجلة
الجامعة، بغداد، العراق/ الجامعة العربية النمساوية، فيينا.
Professor Mohammad Abdulrahman younes
- 8 - معينة سليمان عبود. النادي السينمائي السورية، اللاذقية. سورية
Mueena Solaeman Aboud
- 9 - المهدي نقوس، مصحة المكتب الشريف للفوسفات، المغرب.
Mehdi Naqos
- 10 - د. هند عباس علي. جامعة بغداد، كلية التربية للبنات – العراق.
Dr. Hind Abbas Ali Alhumady

الإهداء

نهدي هذا الجزء الأول من هذه الموسوعة إلى الأعضاء:
الأستاذ الدكتور تيسير عبد الجبار الألوسي، رئيس جامعة ابن رشد في هولندا.
الأستاذ الدكتور حسين الفراجي، رئيس الجامعة العربية النمساوية في فيينا.
الأستاذ الدكتور سعيد عبد الهادي المرهج، نائب عميد كلية دجلة الجامعة في بغداد.
عربون وفاء ومحبة لهؤلاء الأصدقاء الباحثين المثقفين التنويريين

ملاحظة

الأبحاث مرتبة في النشر حسب الترتيب الأبائي لعناوين البحوث، وليست وفقا لأسماء مؤلفيها.

المقدمة

الجنسانية مشروعاً معرفياً وتقديراً في الكتابات القديمة، وفي

الدراسات والبحوث الحديثة

أ. د. محمد عبد الرحمن يونس

تجسّد الجنسانية العربية والإسلامية ظاهرة مهمة جداً في تراثنا العربي القديم، وعلى الرغم من حساسية البحث في أصولها ومظاهرها، وأسباب وجودها وتدوينها، وتدوين أخبار نسائها ورجالها في الخطابات التاريخية الإسلامية والفقهية، الكلاسيكية الأدبية، فإنّ هذا لم يمنع شيوخاً أجلاء، وأئمة مساجد، وفقهاء أصوليين من البحث فيها، وتدوينها، والحديث عنها بحرية وجرأة معرفية كبيرة، وهذه الجرأة دليل على فسحات الحرّية الفكرية والمعرفية التي عايشها هؤلاء الشيوخ والفقهاء الأجلاء مقارنة بفسحات الحريات الضيقة في عالمنا العربي المعاصر.

وعلى الرغم من الخوف والحذر المعاصرين في كشف مظاهرها، ودورها في حياة المجتمعات العربية المعاصرة، وتوظيفها في الخطابات الأدبية، إلّا أننا نجد أن هناك كتاباً، رجالاً ونساءً، خرّقوا هذا الخوف وهذا الحذر، وانتقلوا بها من حقلها التاريخي والفقهية والكلاسيكية، ليوظّفوها في خطاباتهم الإبداعية المعاصرة، سواء أكانت شعراً أم قصة أم رواية أم مسرحاً، توظيفا على غاية عالية من الجرأة، بلغت أحيانا حدّ الوصف الإيروتيكي الصريح لطبيعة العلاقة الإنسانية والجمالية بين الرجال والنساء، وأحيانا أخرى بدت محتشمة وخائفة، وتتحو منحنى في الترميز، تتخفّى وراءه، خوفاً من عدّة مواضع اجتماعية وسياسية أحيانا، ودينية وأخلاقية أحيانا أخرى.

ونجد أنّ بعض دور النشر العربية خرقت المخاوف والمحاذير الناجمة من الجرأة المعرفية في التطرق إلى مظاهر الجنسانية، ولعلّ من أوائل دور النشر الرائدة في هذا المجال كانت دار رياض الريس للنشر والتوزيع، إذ أحييت مشروع

نشر الجنسية العربية والإسلامية، وأعدت طبع أهم مخطوطات هذه الجنسية القديمة ونشرها، ولاقت هذه المنشورات في ما بعد خوفاً ومنعاً من دوائر الرقابة العربية البوليسية، وإقبالاً من القراء والمثقفين والكتاب العرب، باختلاف تياراتهم في الكتابات الإبداعية المعاصرة.

وكانت مجلة الناقد التي تصدر عن هذه الدار هي الرائدة بين المجالات العربية، والتي اجترأت، وطرحت موضوع الجنسية بتعدد مظاهرها وحالاتها في الكتابات التاريخية، والكلاسيكيات الإسلامية والفقهية، وكذلك في التراث القصصي العربي، وكانت مساهمتي في هذا العدد ببحث موسوم بـ (عن مجتمع" ألف ليلة وليلة" وجدل الجنس والسلطة: ثقب الروح والبقارة)⁽¹⁾، بداية للتفكير بإنجاز كتب عن مظاهر الجنسية في التراث الحكائي القديم، وتحديدًا في حكايات ألف ليلة وليلة.

وقد دفعني هذا الاهتمام والتفكير إلى أن أسهم في إنجاز بحوث جديدة في هذه الظاهرة المعرفية المهمة جداً، والخطيرة والمعقدة تارة، والمثيرة الجذابة تارة أخرى. وكان عليّ قبل ذلك أن أجد ناشراً ينشر ما أكتبه، إذ لا جدوى من تأليف أي كتاب إن لم يجد ناشراً له، لأن قيمة النصّ الأدبي والفكري تزداد أهميتها بتعدد قرائه وتداوله، وإفادة الدارسين منه، وخاصة طلاب الدراسات العليا في شعبي الماجستير والدكتوراه.

وبطريق المصادفة تعرّفت على دار نشر: إي – كتب في لندن، وتحديدًا على السيدة الكريمة شمس الصراف، مديرة العلاقات العامة في هذه الدار، ثمّ نشرت في ما بعد كتاباً لدى هذه الدار بعنوان: (أسطورة شهريار وشهرزاد في الخطاب الشعري العربي المعاصر)⁽²⁾. وبعد نشر كتابي هذا اقترحت على السيدة الصراف نشر كتاب بعنوان: الجنسية العربية والإسلامية – قديماً وحديثاً، على أن يكون هذا الكتاب عملاً مشتركاً، بيني وبين أصدقائي من الباحثين والكتاب الأكاديميين الذين ينتمون إلى جامعات ومراكز بحث علمي عربية، والذين لهم خبرات سابقة في التأليف والنشر، فما كان من هذه الدار إلا أن وافقت على نشره، حين الانتهاء منه.

وكما هو معروف في مشروع التأليف الجماعي، من حيث أن المشرف على المشروع يستدعي أصدقاءه المقربين جداً، والذين يجد فيهم رحابة عقلية، وفسحة

(1) مجلة الناقد، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، العدد الثاني والخمسون، تشرين الأول/أكتوبر 1992م، السنة الخامسة، ص 22.

(2) دار إي – كتب للنشر والتوزيع، E-kutub LTD لندن الطبعة العربية الأولى 2017م.

من الحرية في التعامل والحوار والنقاش المعرفي والعلمي، وفضاء ثقافيا، يلتقي بأبعاده المعرفية والفكرية مع فضائه المعرفي الخاص، كان عليّ أن أقترح مشروع كتابنا هذا على مجموعة من أصدقائي المقربين الذين تربطني بهم أواصر صداقة واحترام عميقين، كوننا عملنا معا في جامعات واحدة، أو نشرنا معا في مجلات أكاديمية واحدة، أو التقينا معا في مؤتمرات وندوات أدبية تهتم بالأدب والنقد الأدبي.

وفي البداية كنت مترددا وخائفا من عرضي هذا لأنه قد لا يجد صدى طيبا، وقبولا منهم، أو ربّما يستنفر بعضهم لومه وتقرّيعه على اختياري هذا الموضوع الذي تُعدّ الكتابة فيه محرّمة، وضربا من الخوف والقلق والحذر، إلا أن خوفي هذا سرعان ما تبدد حين لاقت فكرة مشروعني قبولا طيبا، واستحسانا كريما من هؤلاء الأصدقاء الكتاب الذين كتبوا معي، باستثناء أستاذ جامعي، كاتب صديق، إذ لامني على هذا المشروع، ونهاني عنه، لأنّه ربّما قد يسبب لي متاعب في المستقبل، وبخاصة في الوسط الأكاديمي الجامعي الذي عملت معه سابقا، وأعمل معه حاليا، ونبّه إلى خطورة هذا المشروع لأنّ الوسط الاجتماعي الذي نشأت فيه، وتربيت، سيكيل لي التهم المتعددة التي لن أسلم منها، ولأني - تحديدا - ابن لفقيه ديني، له تراثه المعرفي والثقافي والفقهّي الإسلامي، وربما لن يسلم منها هذا الفقيه المتسامح المنفتح على ثقافات الآخر، والمطلع عليها، شعرا وأدبا وتاريخا وفلسفة صوفية.

وبدأنا الكتابة، وتركت لهؤلاء الأصدقاء اختيار المواضيع التي يرون أن البحث فيها يقدّم فائدة أو جديدا، ومن دون أن أتدخّل أبدا في فرض أي بحث أو موضوع أرى أن البحث فيه مهما، ويضيء جوانب مهمة في كتابنا. وبدأنا العمل، وتأخّر هؤلاء الأصدقاء في إنجاز بحوثهم في المدّة التي اتفقنا عليها، مما جعلني أضطر إلى تمديد المدّة غير مرّة حتى ينتهوا من إنجاز بحوثهم. وفوجئت بعد تقدّمنا في بحوثنا بتراجع بعض الأساتذة الذين دعوتهم للكتابة، بحجج تبدو منطقية أحيانا، وباهتة أحيانا أخرى. فقد صرّح بعضهم أن الكتابة في هذه الظاهرة صعبة جدا، حيث لا تتوفر المصادر والمراجع في المكتبات، وعبر آخر عن خوفه من الكتابة في هذا الموضوع، لأن أذى قد يصيبه من الجامعة التي يعمل بها، وقد يتعرّض لإلغاء عقد عمله في هذه الجامعة المتزمتة، وتعرّض غير زميل وزميلة إلى المرض الذي جعلهم غير قادرين على إنجاز بحوثهم، في حين طلب آخرون أن أمدد لهم المدّة لوقت طويل جدا، رأيته غير منطقي.

إن كتابنا هذا يضمّ أبحاثاً لكتاب وأكاديميين من: العراق ومصر وسوريا والجزائر والمغرب، وهؤلاء الكتاب هم: سعيد عبد الفتاح المرهج، وهند عباس علي من العراق، و: أشرف صالح محمد سيد من مصر، و: محمد عبد الرحمن يونس، ومعينة سليمان عبود من سوريا، و: عايدة حوشي، وفريدة مولى، وزينب بن هلال من الجزائر، و: المهدي نقوس من المغرب، و: جعفر كمال، الأديب العراقي المقيم في لندن.

وأحب أن أشير إلى أن ترتيب موضوعات الكتاب جاء بحسب الترتيب الألفبائي لأسماء البحوث المنشورة في الكتاب، وليس بحسب أسماء المؤلفين، وهذا نظام معمول به في كثير من الموسوعات والكتب المنجزة بشكل جماعي.

وأرى أن هذه الموضوعات التي كتبها زملائي الباحثون على غاية من الأهمية والتميز في طرح كثير من القضايا المعرفية، والمظاهر الاجتماعية والإنسانية والأخلاقية المرتبطة بموضوع الجنس والجنسانية، سواء أكانت هذه الجنسانية مبنوثة في الخطابات الفقهية والتاريخية، والحكاية القديمة، أو في الخطابات الإبداعية المعاصرة، وتحديدًا في الخطاب القصصي، والروائي العربي المعاصرين.

وقد جاء ترتيب الموضوعات في الكتاب على الشكل التالي:

- 1 — الأبعاد والدلالات في الألفاظ الجنسانية في ذكريات ومواقع على ضفاف عدن. د. هند عباس علي / العراق.
- 2 — مظهرات الجنسانية الأنثوية بين الشبقية والطهرانية — رواية "نساء كازانوفاً" لواسيني الأعرج / أنموذجاً. د. زينب بن هلال / الجزائر.
- 3 — الجنس بين الكبح وسقوط المحرمات. المهدي نقوس / المغرب.
- 4 — الجنسانية في السينما العربية، السينما المصرية (أنموذجاً) معينة سليمان عبود - / سورية.
- 5 — الحب والجنس في كتابات الفقهاء والشيوخ. أ. د. محمد عبد الرحمن يونس. / سورية
- 6 — دلالات الخطاب الجنسي في روايات: التفكك/ عرس بغل / سوناتا لأشباح القدس - بين المشهدية الجنسية والتظهير - د/ عايدة حوشي/ الجزائر.
- 7 — الشخصية الإشكالية المادية في الرواية العربية رواية: لحظة القبض على حشاش، أنموذجاً. أ. جعفر كمال / لندن.

8 — سعار الشبقي والجنساني في حياة ملوك ألف ليلة وليلة وسلاطينها —
دراسة نقدية في متن بعض حكايات ألف ليلة وليلة. أ. د. محمد عبد الرحمن
يونس/ سورية.

9 — الشذوذ الجنسي في مصر خلال عصر سلاطين المماليك
سلوك العامة نموذجًا (1250 – 1517م). د. أشرف صالح محمد سيد. /
مصر.

10 — صورة المرأة في مرويّات العصور المتأخرة — قراءة سيميائية في
كتاب ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار. أ. د. م: سعيد عبد الهادي المرهج. /
العراق.

11 — قراءة في كتاب: الحب بين المسلمين والنصارى في التاريخ العربي.:
أ. د. محمد عبد الرحمن يونس

12 — الماهية الأنثوية بين الخطابات الشبكية والخطابات الصوفية. أ. د. م.
فريدة مولى / الجزائر.

ونشير في هذه المقدمة إلى أهم ما جاء في هذه الأبحاث من مضامين ورؤى
معرفية وفكرية، تناولها الباحثون بالدراسة والنقد والتحليل.

في بحثها الموسوم بـ: **(الأبعاد والدلالات في الألفاظ الجنسانية في ذكريات
ومواقع على ضفاف عدن)**، تدرس الدكتورة هند عباس علي لغة القاص محمد
عبد الرحمن يونس، من خلال بعدها الجنسي المكمل بالسخرية والامتعاض من
سلوك الشخوص أبطال قصصه وإدانتها لمظاهر الانحراف التي وسمت سلوك
هؤلاء الأشخاص وتصرفاتهم، ورؤيتهم للحياة والكون، وترى أن المرأة هي الثيمة
الأولى الحاضرة في قصصه، وهي المحور الرئيس لكثير من قصصه، ومن خلال
وجودها يدين ويرفض الكثير من الظواهر الاجتماعية غير الإنسانية الموجودة في
عالمه المحسوس، وترى الباحثة أن القاص اعتمد في خطابه القصصي لغة عالية
فصيحة تشير إلى ذائقة جمالية ووعي فكري وفني، استطاع من خلاله أن يجذب
القارئ نحو إبداعه، ورأت أن سرده القصصي يتشكّل من خلال منظومتين
لغويتين:

1- منظومة لغوية ذات مستوى معياري وهي تضم لغة الأدب، ولغة الأفراد
ممن هم من الطبقة المعرفية العالية.

2- منظومة لغوية ذات مستوى عام تضم المفردات الدخيلة والمعربة،
والمفردات الأجنبية، والمفردات اليومية الدارجة.

وقد ركزت في بحثها على دراسة المفردات الجنسية وفق منظومتين: منظومة المفردات الجنسية الصريحة، ومنظومة التراكيب الجنسية الصريحة، وذلك من خلال علاقة الرجل بالمرأة، وتحديدًا علاقة الحبّ والجنس في صورها الرمزية تارة، والصريحة تارة أخرى.

أما بحث الدكتورة زينب بن هلال الموسوم بـ **(تمظهرات الجنسية الأنثوية بين الشبقية والطهرانية — رواية "نساء كازانوفاً" لواسيني الأعرج)**، فإنه يهدف إلى التركيز على أهم مظاهر جنسانية الأنثى العربية والإسلامية من خلال دراسة هذا النص الذي يحمل حمولات معرفية يركز عليها السرد الروائي ليظهر من خلالها خطاب الجنسية الأنثوية في المجتمعات العربية، وتحديدًا في المجتمع الجزائري المعاصر، وقد أفاضت الباحثة في مقدمة بحثها بالتركيز على ثنائية (الذكر/ الأنثى)، و(المقدس والمدنس)، لتوضّح من خلالها ذلك الشرخ القائم بين الشريعة الإلهية والشريعة البشرية، هذا الشرخ الذي أدّى إلى تباين المفاهيم والإدراكات، وأسهم في تشويه الكثير من القيم الإنسانية مما نتج عنه اختلال في موازين القوى واعتلال في البناء الاجتماعي للمجتمعات العربية، ومن خلال هذه الاختلال تقوم الباحثة بدراسة الرواية منطلقًا من وحدات سردية بعينها، طغت عليها مفردات الجنسية الشبقية، وقد كانت هذه الوحدات السردية هي الفضاء المعرفي الذي جسّد مظاهر الجنسية الشبقية السائدة لدى الشخصيات الروائية، ذكورا وإناثًا في المجتمع الجزائري المعاصر، ومن خلال دراستها وتحليلها ألقّت الباحثة الضوء على الحياة الجنسية المتهتكة والشاذة في آن، والسائدة في أوساط الرجال والنساء معًا.

أما الباحث المغربي الأستاذ المهدي نقوس، فقد ركّز في بحثه الموسوم بـ: **(الجنس بين الحظر وسقوط المحرّمات)** على ظاهرة الجنس، وعدّها من أهم المواضيع التي أُرقت الوعي الإنساني، وأراقت العديد من المداد بين التناول والإباحة، والحظر والكبح، فقد عدّها البعض سببًا في انحطاط المجتمعات والشعوب، في ما أخذها بعضهم مأخذ جد، ولذا نجدهم قد احتفوا بالجسد الأنثوي وتضاريسه الفاتنة، وقدرته الخارقة على الإغواء والإثارة الشهوية، وتذكر الأديان والأساطير بأن مجمل الحروب التي دارت منذ بداية الخلق، كانت بسبب امرأة، ولم يخل مجتمع وعصر من العصور قط من الكتابة في أوصاف هذه الجسد وشهوانيته، وقد وصلتنا نماذج قديمة، قدم التاريخ البشري، وهي عبارة عن تماثيل وجداريات وألواح ونقوش لأعضاء تناسلية عارية. وتشير الميثولوجيات إلى أن العديد من البغايا قد امتهن الجنس، ورأين فيه ظاهرة مقدّسة هدفها التقرب إلى

الآلهة بغية إرضائهم وحمايتهم لهن. وقد شهدت العصور الإسلامية منذ ثلاثة عشر قرنا حركة تأليف نشيطة، وولادة العديد من المصنفات التراثية التي تناولت علم (الباه) والعشق بكل أنواعه، ولم يتحرج أصحاب تلك الكتب من وصف النساء، وأوضاع الجماع، وذكر الأعضاء التناسلية للذكر والأنثى، وتسميتها بمسمياتها الصريحة.

أما بحث الأستاذة معينة سليمان عيود الموسوم بـ: **(الجنسانية في السينما العربية، السينما المصرية /أنموذجا)**. فقد تناول الفن السينمائي نظرا لكونه عنصرا من أهم عناصر الثورة العلمية، ورأت الكاتبة في بحثها أنّ الفن السينمائي تحوّل مع تطوّر صناعة السينما إلى فن الإثارة والعنف والإباحية في صور من الشذوذ الفاقع، بشتى أشكاله وانحرافات في سلوك الناس وطبيعتهم، شذوذ خرج من صالات العرض ليدخل قنوات التلفزيون، ثم سكان البيوت، ثم هواتفهم النقّالة. وكانت السينما المصريّة، بتقنياتها المتطورة، نموذجا لبقية السينما العربية، نظرا لكونها أول سينما عربيّة تواكب السينما الأوروبية سواءً بالعروض أو بالإنتاج. كما أنها أول سينما عربيّة تورطت بتسويق أفلام الجنس العربية: الطبيعية والشاذة منها في الآن نفسه، وقد تزامن عرض هذه الأفلام مع عرض الأفلام الأوروبية المستوردة التي كانت مليئة بالإثارة الجنسية والشذوذ الجنسي.

وفي بحثها هذا تختار الباحثة نماذج من الأفلام المصرية التي لاقت رواجا كبيرا، وإقبالا شديدا عند الشباب المكبوت والمحروم، المتعطش إلى إرواء دوافعه الغريزية، وتقوم بتحليلها مبينة مظاهر الجنسانية فيها، ودور هذه المظاهر في انحراف المشاهد العربي، وتأجيج نزعاته الشهوانية، وتغيب بنيته المعرفية الواعية في الآن نفسه، ومن هذه الأفلام: فلم (شباب امرأة)، من إخراج صلاح أبو سيف، وبطولة شكري سرحان وتحية كاريوكا، وفلم(الصعود إلى الهاوية)، من إخراج كمال الشيخ، وبطولة: مديحة كامل وليمز سركسيان، وفلم: (حمام الملايطي) من إخراج صلاح أبو سيف، وبطولة: محمد العربي وشمس البارودي، وغيرها من الأفلام الأخرى التي ضجّت بالمشاهد الجنسية والصور النسائية العارية.

ويكتب الدكتور محمد عبد الرحمن يونس بحثا بعنوان: **(الحب والجنس في كتابات الفقهاء والشيوخ)**، يدرس فيه أهم ما جاء من مظاهر الحب والجنس في كتابات الشيوخ والفقهاء والقضاة الإسلاميين، وذلك من خلال مصنفاتهم العديدة الجريئة التي بدت أقرب إلى الأدب الإيروتيكي، المكشوف والصريح، وقد تركّز خطاب هذه الكتب حول تقوية الباه، والحب الجنساني الإباحي، والعلاقة الميكانيكية

الجسديّة بين الرجل والمرأة، وتقاطع الجسد الأنثوي، ووصف أجزائه المكشوفة والمستورة وصفا واضحا، لا تلميح ولا ترميز فيه، ومن هنا فقد كان هذا الخطاب خطابا جريئا خارقا للبنىّة الثقافية المتزمتة التي تربى عليها كثير من الناس المعاصرين، مثقفين وكتّابا، وقراء عاديين. ويقول الدكتور يونس في بحثه: (ولم يكن هؤلاء الشيوخ والفقهاء يجدون أي عيب أو حرج حين الحديث عن الحب أو الجنس، أو ذكر لأعضاء الجسد المثيرة جنسانيا، فذكرها ليس منكرا ولا حراما، ولا يشكل إثما، وكانوا يطلقون على الفعل الجنسي في كتاباتهم مصطلحات محددة: النكاح، النيك، الجماع، الإتيان، المواقعة، أما استخدامهم لكلمة حب التي تشير إلى الفعل الجنسي فهو استعمال نادر، فالإثارة الجنسية عندهم هي مفتاح للوصول إلى الرعشة الميكانيكية الجنسية، وليس إلى الحب، لأن الحب حالة تعصف بالنفس البشرية، وتجعل أصحابها شغوفين عاشقين ولهين، وقد تقودهم هذه الحالة إلى الجنون، وليس شرطا أن توصلهم إلى اللذة الجنسانية).

وقد عمل الباحث في بحثه إلى دراسة وتحليل أهم مظاهر الجنسانية في الكتب الكلاسيكية التالية:

(الروض العاطر في نزهة الخاطر) للشيخ محمد بن أبي بكر النفزاوي، وكتاب: (نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب) للقاضي التونسي الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي القيسي، وكتاب: (تحفة العروس وتمعّة النفوس) لمؤلفه الشيخ التونسي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي القاسم التجاني، وكتاب: (رجوع الشيخ إلى صباه في القوة على الباه)، لمؤلفه الشيخ الإمام أحمد بن سليمان بن كمال باشا.

ومن الكتب المعاصرة التي يعرض لها الباحث كتاب: الحب عند الفقهاء، (عرض - دراسة - تحليل) للأستاذ الدكتور محمد حامد شريف من مصر، عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دمياط الجديدة، هذا الكتاب انهمك مؤلفه في ذكر أخبار الحب، والمحبين، رجالا ونساء، عند الشيوخ والفقهاء، وابتعد عن نصوصهم الإيروتيكية ابتعادا واضحا، واقتصر على نصوص الحب، والحب العذري وأخبار العاشقين عبر التاريخ، ولم يعرض لنص جنساني واحد.

وتكتب الدكتورة عايذة حوشي بحثا بعنوان: (دلالية الخطاب الجنسي في روايات: التفكك/ عرس بغل / سوناتا لأشباح القدس - بين المشهدية الجنسية والتظهير)، وترى من خلال بحثها: أنّ الجنس (sex) في الخطاب الروائي الجزائري يشكّل موضوعا معرفيا وثقافيا صعب المسلك لطالما نفر منه النقاد نظرا لما يلفه من ضوابط؛ إما سلطوية، أو قانونية أو ما شابه. وعلى الرغم من

التابو الذي يفرض جنسا مسكوتا عنه تارة، أو مبالغا في التصريح به تارة أخرى؛ فإن بحثها هذا يأتي ليسلط الضوء على دلالاتية الجنسانية (sexuality) في الخطاب الجنس (sexualdiscourse) بوصفها ظاهرة نصية في الرواية الجزائرية ممثلة - على سبيل الحصر لا السرد - بأهمّ كتابها المرموقين، وهم: رشيد بوجدره، والطاهر وطّار، وواسيني الأعرج، وذلك من خلال دراستها للروايات التالية: **التفكك** -: رشيد بوجدره، **عرس بغل** -: الطاهر وطّار، و**سوناتا لأشباح القدس** -: واسيني الأعرج؛ وقد توقّفت عند صور الجنس في رواية: **(التفكك)** بكل ما تتضمنه من شذوذ، وانحلال، وتمرد على العرف والقوانين الرمزية نصيا. في حين تمّ تركيزها على خصوصية توظيف الجنس إيديولوجيا في رواية: **(عرس بغل)** من خلال رمز المرأة وفعل البغاء؛ ناهيك عن دلالاتية الجسد في رواية: **(سوناتا لأشباح القدس)**، وكيفية توظيفها جنسيا بين المشهدية والتظهير الأيقوني. إنّ معالم الخطاب الجنسي في دراسة الدكتورة عايدة حوشي هو موضوع بحثها الذي يسعى إلى مقارنة التظهير الجنساني بوصفه دليلا نصيا يحمل البعد الرمزي الأيقوني، ويهدف إلى تصويره ظاهرة نصية تختلف نسبة توظيفها بين الكتاب، وتطبع كل نص بطابع يميزه عن الآخر.

ويكتب القاص والناقد والشاعر جعفر كمال بحثا بعنوان: **(الرواية العربية — الشخصية الإشكالية المادية في رواية: لحظة القبض على حشاش)**، يحل من خلاله رواية (لحظة القبض على حشاش) للروائي العراقي عبد الباقي شنان، دارسا أهم السمات الاجتماعية والنفسية التي تسم الفضاء الروائي، بعلاقاته وشخصه، وكذلك أهم مظاهر السلوكيات الجنسية، سواء أكانت سوية أم شاذة، والتي يمارسها أبطال الرواية. ويستعين في تحليله النقدي بمرجعيات معرفية متنشعبة، من فكر وفن وفلسفة وعلم نفس، توغل بعيدا في نظريات ابستمولوجية، ونقدية متعددة تنهل من خورخي لويس بورخيس، وميخائيل باختين، ومن فلسفة رينيه ديكارث وأرسطو وفريديريك نيتشه ومن نظريات علم الاجتماع ممثلة براند علم الاجتماع العربي المعاصر الدكتور علي الورد، وبراند الفلسفة العربية المعاصرة الدكتور عبد الرحمن بدوي، ومن نظريات علم النفس التي جاء بها سيجموند فرويد، وغيرهم.

ولم يكن همّ هذه الدراسة الأولى دراسة مظاهر الجنسانية، وتجسّداتها في خطاب رواية (لحظة القبض على حشاش) فحسب، بل تعددت مناحي هذه الدراسة، وتشعبت، لتنتقل النص الروائي من كونه خطابا سرديا حكايا إلى أن يصبح خطابا معرفيا وفلسفيا واجتماعيا يتوزّع على البنية العامة للرواية. وقد اتسم

هذا البحث بلغة نقدية عالية محكومة بمصطلحات نقدية عديدة تنهل من كثير من المدارس النقدية المتباينة، سواء أكانت قريبة أم حديثة.

ويكتب محمد عبد الرحمن يونس دراسة بعنوان: **(سعار الشبقي والجنساني في حياة ملوك ألف ليلة وليلة وسلاطينها — دراسة نقدية في متن بعض حكايات ألف ليلة وليلة)**، ويحاول في هذه الدراسة أن يشير إلى أهم مظاهر خطاب الحب والجنس في ثلاث حكايات من حكايات ألف ليلة وليلة، وهذه الحكايات هي: (حكاية الخليفة هارون الرشيد مع زوجته السيدة زبيدة)، و: (حكاية السقاء وزوجة الرجل الصائغ)، و(حكاية الملك الذي ذهب مستخفياً إلى إحدى القرى)، باعتبار هذا الخطاب خطاباً نامياً، متشعباً في جوانبه العديدة، من حيث شمولية النظرة والاتجاه، وكذلك البعد النفسي لشخص حكايات ألف ليلة وليلة، ومواقفهم إزاء شهواتهم الجنسية المتحفزة دائماً لعشق النساء الجميلات، ومحاولة كسب ودهن، والحصول عليهنّ كزوجات، أو عشيقات خليات.

كما تحاول هذه الدراسة أن تفهم أبعاد هذا الخطاب، ودوره في بناء الحكايات، على المستوى القصصي والسردى، ودوره في بناء لغة وصفية خاصة، تجسد طبيعة العلاقة العاطفية والجنسانية بين الرجال والنساء في حكايات الليالي، كما تحاول أن تعرّج على الخطاب السردى الساخر الذي يبثّه رواة ألف ليلة وليلة في السرد القصصي، ويسخرون من خلاله بأفراد الطبقة الحاكمة في الليالي، وفق إيديولوجية معرفية خاصة تدين هؤلاء الأفراد، وتعتبرهم منتهكين لحقوق مواطنيهم، ومن جهة أخرى تركّز على البعد الجمالي الأخلاقي لبعض نساء ألف ليلة وليلة الفاضلات اللواتي يرفضن الخيانة الزوجية، باعتبارها فعلاً لا أخلاقياً، ومنافياً لأخلاق الدين الإسلامي، وقيمه المعرفية والتشريعية.

ويتناول الدكتور أشرف صالح محمد سيد. في بحثه الموسوم بـ: **(الشذوذ الجنسي في مصر خلال عصر سلاطين المماليك - سلوك العامة أنموذجاً 1250م - 1517م)**. ظاهرة الشذوذ الجنسي في فترة دولة المماليك، هذه الفترة الحاسمة في تاريخ الحضارة الإنسانية بصفة عامة والعربية الإسلامية بصفة خاصة، ففي هذه الفترة الكثير من الأحداث الكبيرة، التي شكّلها العديد من السلاطين العظام الذين تركوا لهم بصمات واضحة على صفحات التاريخ المملوكي. فقد استطاع المماليك أن يشيدوا إمبراطورية ضخمة حققت وزناً في السياسة العالمية في العصور الوسطى، إلا أن عصر المماليك هذا كانت له مساوئ وأثار سلبية مدمرة في عدة ميادين.

ويحاول الدكتور أشرف في دراسته هذه أن يعرض، بكثير من البحث والاستقصاء، لإحدى هذه المساوئ وهي ظاهرة انحرافات المجتمع وشذوذ أفراده الجنساني، من خلال ما ذكرته المصادر التاريخية عن الشذوذ الجنسي لدى العامة، ومن خلال ما وصلنا من أخبار هذا الشذوذ، برجاله ونسائه، وذلك من واقع الفنون الشعبية وكتب الأدب المكتوبة في هذه الفترة. وقد اعتمد الباحث في بحثه المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، من خلال جمع المعلومات والروايات التاريخية بالرجوع إلى مصادرهما ومراجعتها، ومن ثم تحليل هذه المعلومات بشكل موضوعي في سياق حركة المجتمع المملوكي، الذي تورط نساؤه ورجاله في ارتكاب جميع مظاهر الشذوذ الجنسي، حتى تلك التي بلغت حدّ ممارسة الجنس مع الحيوانات.

ويكتب الباحث والناقد العراقي الدكتور سعيد عبد الهادي المرهج بحثاً بعنوان: **(صورة المرأة في مرويات العصور المتأخرة - قراءة سيميائية في كتاب ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار)** لمؤلفه: إسماعيل بن نصر السلاحي (ابن القطعة)، وقد جاء هذا البحث على قسمين: الأول محاولة تعريف بآليات المنهج السيميائي الكريماسي (السيمياء السردية) قدّم فيه الباحث تعريفاً بهذا المنهج، فضلاً عن الإشارة إلى مصادره الرئيسية. والقسم الثاني ركّز فيه على الإجابة عن سؤال التجنيس (ذكورة/ أنوثة) في التراث العربي، وقد بيّن فيه من خلال هذا المنهج أننا أمام معرفتين: معرفة دينية محضة أعطت للمرأة حقوقاً لم يعرفها زمن البعثة وما بعده، حتى عصر الحدائث العربي. ومعرفة اجتماعية بقّيت المرأة فيها محصورة في دائرة المهمّش، وكانت الحكاية (فعل القصد) ذاتها جزءاً من آليات تعزيز التهميش.

وهذا ما أثبتته الباحث بجلاء من خلال قراءة المدونة التراثية المدروسة (ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار). تلك المدونة التي سعى كاتبها إلى جمع مختلف أشكال المعرفة التراثية فيها؛ وبجانبها الرئيسيين: الشعري والعلمي. فكأنه بسيره على الطريق ذاته الذي سلكه عصر المعرفة الموسوعية العربي، إنما حاول أن يقدم موسوعة تجمل المعرفة بعالم المرأة، ليست معرفة عصره فحسب، بل المعرفة العربية منذ لحظة الإمساك بها في عصر التدوين حتى عصره.

ويكتب محمد عبد الرحمن يونس مقالاً بعنوان: **(قراءة في كتاب: الحب بين المسلمين والنصارى في التاريخ العربي)**، لمؤلفه الأستاذ عبد المعين الملوح، شيخ الكتاب السوريين المعاصرين، ويحاول فيه أن يعرض لأهم ما جاء في هذا الكتاب، الذي يعدّ من أهم الكتب العربية المعاصرة التي سجلت أخبار الحب

والعشق والزواج في علاقات المسلمين بالمسيحيين، من خلال تاريخهم الاجتماعي والإنساني والثقافي والمعرفي. فقد نشأت بين الرجال والنساء في المجتمعين الإسلامي والمسيحي علاقات حب قوية أدت في بعض حالاتها إلى الزواج، وكان لهذه العلاقات دور في امتزاج المجتمعين الإسلامي والمسيحي، وبالتالي دور في بنية هذين المجتمعين على المستوى الإنساني والحضاري والاجتماعي والثقافي.

ويأتي هذا الكتاب ليلقي ضوءاً على بنية علاقات الحب هذه، هذين المجتمعين، وليقلّب صفحات طويلة من كتب التراث العربي التي سجلت أخبار هذه العلاقات.

أما الدكتورة فريدة مولى فتكتب بحثاً بعنوان: **(الماهية الأنثوية بين الخطابات الشبقية والخطابات الصوفية)**، تطرح فيه قضية الماهية الأنثوية من منظور الفكر البطريركي الذي يعزز الجنس الذكوري السنّي على حساب الجنس الأنثوي الدني، وبالتحديد الفكر الذي أنتج خطابات شبقية تحصر الماهية الأنثوية في مفهوم الشكل والجسد، وترسخ صورة المرأة كأداة إيروتيكية لإثارة الغرائز، وتتعرض لجسدها بشكل مستقل عن كينونتها الإنسانية بتغيب عقلها وفكرها والأهم من ذلك إلغاء حضورها الإنساني، وبالمقابل يكشف كيف تجلت الماهية الأنثوية في الخطابات الصوفية التي اتخذت من الصورة الوجودية للمرأة/الأنثى نموذجاً يجمع بين الجمال الإلهي والحكمة والفتوة الصوفية بأجلّ معانيها، فقد نأى الخطاب الصوفي عن الخطابين الفقهي والجنسي اللذين ميّزا بين الذكورة والأنوثة كماهيتين منفصلتين لكل ماهية خاصياتها الوجودية والميتافيزيقية، وارتقى فوق التصنيف البيولوجي للمرأة والرجل، وسوّى بينهما، كما حاول تخليص المرأة من الحصار الأخلاقي والرقابة الإيديولوجية اللذين مورسا عليها داخل الخطابات الأخرى، وقد اكتسى حضور الأنثى في الخطابات الصوفية بشكل عام وفي خطاب "ابن عربي" بشكل أخص مكانة مميزة، إذ تقف المرأة في كتاباتهم شاهداً على الذوق الرفيع للمتصوفة الذين ناشدوا جمالها الروحي إلى جانب جمالها الجسدي، رادين بذلك الاعتبار للجسد الأنثوي الذي همّش واحتقر في الكتابات الفقهية، وامتهن وسخر في الكتابات الشبقية.

إن كتابنا هذا يشكّل الجزء الأول من مشروعنا البحثي الذي نأمل أن نكلمه، وهو موسوعة كبيرة متنوّعة في طرحها وأهدافها ومواضيعها، أطلقنا عليها اسم: موسوعة الجنسانية العربية والإسلامية، قديماً وحديثاً، ونأمل أن ننجز منها جزءاً في كل عام، نخصه للخطابات الجنسانية، سواء أكانت قديمة أم حديثة، ودور هذه الخطابات وتأثيرها في الكتابات العربية المعاصرة من جهة، ودورها في أن تشكّل حقلاً سوسيوولوجياً وثقافياً، يمكننا، من خلاله، أن نفهم الذهنية المعرفية

السائدة في بنية مجتمعاتنا العربية والإسلامية، فكرا وسلوكا، وأخلاقا من جهة ثانية.

ونطمح في أن تكون هذه الموسوعة مرجعا مهما للباحثين في حقل الجنسانية العربية، وللقراء المهتمين بهذا الجانب المعرفي، شديد الحساسية، ولدارسين من طلابنا الأعزاء، وبخاصة في شعبي الماجستير والدكتوراه، في أقسام الدراسات العليا في جامعاتنا العربية، وفي الجامعات الأجنبية التي عملنا بها سابقا، ونعمل بها حاليا.

كما نأمل أن تكون هذه الموسوعة قادرة على كشف ما هو مستبد مظلم متخلف، وأناي فردي ضيق متحكّم في طبيعة العلاقات الاجتماعية في مجتمعاتنا العربية والإسلامية المعاصرة، وبخاصة في علاقات الرجال بالنساء، على المستوى الجنساني والعاطفي من جهة، وعلى مستوى الاضطهاد والطبقية والتبعية الجنسية من جهة أخرى.

والله ولي التوفيق.

محمد عبد الرحمن يونس

بغداد في 2018/3/18 م.

الحب والجنس في كتابات الفقهاء والشيوخ

أ. د. محمد عبد الرحمن يونس

كثيرة هي الدراسات التي كُتبت عن ظاهرة الحب والجنس بين الأمم والشعوب، فما من شعب من الشعوب إلا وله ميراثه الخاص من أخبار هذه الظاهرة ومظاهرها ودورها المهم في حياة الناس، باختلاف طبقاتهم الاجتماعية والسياسية، وهذا الميراث ليس قليلا في دراسات هذه الشعوب وبحوثها، وتاريخها المعرفي. إن الحب والجنس بنيتان أساسيتان ومهمتان جدا في ثقافات الشعوب وتراثها، ومن هاتين البنيتين تشكلت نصوص إبداعية وجمالية، ودراسات عديدة، ومتشعبة. وتأخذ هذه الظاهرة، في الأدب العربي، نثرا وشعرا ورسائل أهمية بالغة، فهي تشكل خطابا أدبيا وفكريا وتاريخيا، تنهل منه كثير من النصوص والدراسات الحديثة. ويبدو أن موضوع الحب والجنس هو الموضوع الأكثر تناولا في الأجناس الأدبية عبر تشكّلها، وتطورها التاريخي، وسيرورتها الزمنية. و إذا كان كثير من الباحثين والقراء يرون أن البحث في الحب والجنس بحث محفوف بالمخاطر، باعتباره نوعا من البحث في محرّمات يجد الناس حرجا كبيرا حين الحديث فيها، وهي: الجنس والسياسة والدين، والبعض الآخر يرى أن مثل هذه الأبحاث تخدش الحياء الإنساني والجمالي، وتعمل على إثارة الغرائز الجنسية، وبالتالي تعمل على هدم القيم الكلاسيكية، والأخلاق المحافظة المتعارف عليها، فإن ذلك لم يمنع كثيرا من الباحثين التنويريين، والمبدعين المعاصرين، والفقهاء والشيوخ عبر التاريخ من الكتابة عن هذه الظاهرة، وتأثيراتها في المجتمع، وفي أعماق النفس الإنسانية، وبكثير من الحرية والجرأة أحيانا، وبشيء من التحفظ أحيانا أخرى.

ثمّة كتب ومخطوطات عديدة كتبها علماء أجلاء — مشهود لهم بالنقوى والسيرة الحميدة — بمزيد من الحرية والجرأة، إذ بدت هذه المخطوطات أقرب إلى الأدب الإيروتيكي، المكشوف والصريح، وقد تركّز خطاب هذه الكتب حول تقوية الباه، والحب الجنسي الإباحي، والعلاقة الميكانيكية الجسدية بين الرجل والمرأة، وتقطيع الجسد الأنثوي، ووصف أجزائه المكشوفة والمستورة وصفا واضحا، لا تلميح ولا ترميز فيه، ومن هنا فقد كان هذا الخطاب خطابا جريئا

خارقا للبنىّة الثقافية المتزمّنة التي تربّى عليها كثير من الناس المعاصرين، متقنين وكتّابا، وقراء عاديين، ويمكن القول إنّ اهتمام أجدادنا القدامى، رضوان الله عليهم، بتأليف رسائل الحب والجنس وكتبهما عائد إلى فسحات الحرية العقلية والمعرفية التي كانوا يعيشونها.

وإذا كانت الدراسات والأبحاث المعاصرة في ظاهرة الحب والجنس على قدر كبير من الحياء والخجل والخوف، فإن ذلك يعود إلى منافذ الحريات الضيقة والمظلمة جدا في فضاءات العالم العربي والإسلامي، بفعل الخطابات الإرهابية والتكفيرية، والإسلاموية التي يتزعمها جهلاء الشيوخ وفقهاء الإفتاء، هذه الخطابات المعادية لخطاب الحرية والعقل والتنوير في هذا العالم.

لقد عايش أجدادنا القدامى حرية البحث العلمي والمعرفي، والاستقصاء والتجريب، والتنظيم والتبويب والجمع في كتاباتهم العديدة في الحب، يستحيل عليهم تأليفها وجمعها لو عاشوا في عصرنا الحالي.

إنّ المتصّحّ لكتب الحب ورسائله القديمة سيدهش من حرية البحث والكتابة عن هذه الظاهرة، وما كتاب ألف ليلة وليلة المليء بالموثرات العربية والإسلامية والعالمية إلا الدليل الأكيد على أفق الحرية المفتوح الذي تمتع به هؤلاء الأجداد وعاشوه. ونأخذ على سبيل المثال، لا الحصر، النصوص الجريئة التالية التي تشير إلى بعض حالات الحب والجنس، في فعلهما الميكانيكي: (وأقبلت علي وضمّنتني إلى صدرها وقبّلتنني وقبّلتها، ومصّت شفّتي التحتانية، ومصّصت شفّتها الفوقانية، ثمّ مددت يدي إلى خصرها وغمزته، وما نزلنا في الأرض إلا سواء. وحلّت سراويلها فنزلت في خلال رجليها وأخذنا في الهراس والتعنيق والغنج والكلام الرقيق والعضّ وحمل السيقان والطواف بالبيت والأركان، إلى أن ارتخت مفاصلها وغشي عليها ودخلت في الغيبوبة. وكانت تلك الليلة مسرّة القلب وقرّة الناظر)⁽¹⁾.

وهاهو أحد أبطال ألف ليلة وليلة يسجّل إحدى مغامراته الجنسية مع امرأة بهية من مثيرات ألف ليلة وليلة، وفق خطاب جنسي واضح، وبلغة جريئة تكشف كثيرا من حالات الشبق التي تعصف بأبطال ألف ليلة وليلة العاشقين، رجالا ونساء: (فعند ذلك قامت الصبية وقلعت أثوابها وأنت في قميص رفيع مطرّز من الذهب، وقلعت لباسها، وأخذت بيدي وطلعت بي فوق السرير، وقالت لي: ما في الحلال

(1) - ألف ليلة وليلة، مجهول المؤلف، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دون تاريخ، المجلد الثاني، ص 27.

من عيب. ووقعت على السرير وانسطحت على ظهرها، ورمتني على بطنها، ثم شهقت شهقة واتبعت الشهقة بغنجة، ثم كشفت الثوب حتى جعلته فوق نهودها. فلما رأيتها على تلك الحالة لم أتمالك نفسي دون أن أولجته فيها، بعد أن مصصت شفقتها وهي تتأوه وتظهر الخشوع والبكاء والدموع، ولم تزل تسمعي الغنج والشهيق في خلال البوس والتعنيق، حتى صار صياحنا في الطريق وحظينا بالسعادة والتوفيق⁽²⁾.

غير أن هناك رسائل وكتبا أخرى تُعدّ أكثر جرأة ومعرفة علمية ودقيقة بظاهرة الحب والجنس، وأسسها المعرفية والجمالية، وأثرها في نفوس البشر، مقارنة بكتاب ألف ليلة وليلة، ومن هذه الكتب: الروض العاطر في نزهة خاطر للشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن علي النفزاوي، ت 1218 هـ، و(تحفة العروس ومتعة النفوس)، و(أحكام النكاح 0) للشيخ محمد بن أحمد التجاني (ت 709 هـ — 1309 م)، وكتاب (رجوع الشيخ إلى صباه) لأحمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا، ت 940 هـ/1543 م والكتب التالية: (الإيضاح في علم النكاح) و(نواضر الأيك في معرفة النيك) و(الوشاح في فوائد النكاح)، و(شقائق الأترج في رقائق الغنج)، و: (ضوء المصباح، في لغات النكاح)، و: (اليواقيت الثمينة في صفات السمينية)، و: (المستظرفة في أحكام دخول الحشفة)، و: (نزهة الجلساء في أشعار النساء)، لمؤلفها الإمام جلال الدين السيوطي (عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد سابق الدين خضر الخضيرى الأسيوطي، ت 911 هـ — 1505 م)، والكتب التالية: (نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب) و: (قادمة الجناح في آداب النكاح) و: (رسالة فيما يحتاج إليه الرجال والنساء في استعمال الباه مما يضر وينفع)، لمؤلفها: الشيخ شهاب الدين أحمد التيفاشي ت 651 هـ. وكتاب: (الإفصاح عن أحاديث النكاح)، لمؤلفه: أحمد شهاب الدين بن حجر الهيثمي المكي، ت 974 هـ، وغيرها من الكتب الأخرى.

إن جميع هذه الكتب، أنفة الذكر، تؤكد أهمية الحب والجنس، في حياة الإنسان، وتدعو بشكل واضح وصريح إلى الاهتمام بهما، وضرورة المحافظة على نشاطهما، وتزكيتهما باستمرار حتى تتحقق السعادة والوئام بين الأزواج، وحتى يكثر النسل، وتعمر الحياة.

(2) - ألف ليلة وليلة، المصدر السابق، ص 37 - 38.

ولم يكن هؤلاء الشيوخ والفقهاء يجدون أي عيب أو حرج حين الحديث عن الحب أو الجنس، أو ذكر لأعضاء الجسد المثيرة جنسانياً، فذكرها ليس منكراً ولا حراماً، ولا يشكل إثماً، وكانوا يطلقون على الفعل الجنسي في كتاباتهم مصطلحات محددة: النكاح، النيك، الجماع، الإتيان، الواقعة، أما استخدامهم لكلمة حب التي تشير إلى الفعل الجنسي فهو استعمال نادر، فالإثارة الجنسية عندهم هي مفتاح للوصول إلى الرعشة الميكانيكية الجنسية، وليس إلى الحب، لأن الحب حالة تعصف بالنفس البشرية، وتجعل أصحابها شغوفين عاشقين ولهين، وقد تقودهم هذه الحالة إلى الجنون، وليس شرطاً أن توصلهم إلى اللذة الجنسية. وها هو الإمام الحافظ ابن قتيبة الدينوري، ت 276 هـ، يرى أنه لا إثم في ذكر اسم أعضاء الجسد ووصفها، هي والفواحش أيضاً. يقول في كتابه عيون الأخبار: (وإذا مرّ بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج أو وصف فاحشة فلا يحملك الخشوع أو التخاشع على أن تصعّر خدك وتعرض بوجهك فإن أسماء الأعضاء لا تؤثم وإنما المأثم في شتم الأعراض وقول الزور والكذب وأكل لحوم الناس بالغيب).⁽³⁾

و هاهو الإمام الغزالي يؤكد أهمية الحب وفوائده، ويرى أنّ لذته لا تعادلها لذة أخرى لو دامت، ومن فائدة هذه اللذة في الدنيا الرغبة في أن تظلّ دائمة في الجنة، وبالتالي فإنّها المفتاح الباعث على عبادة الله عزّ وجلّ، والمحقرّ له. يقول: (وإنّ في هذه اللذة التي لا توازيها لذة لو دامت، لتنبئها على اللذات الموعودة في الجنان، إذ الترغيب في لذة لا تعرف لا ينفع، فلو رُغِبَ العنين في لذة الجماع، أو الصبي في لذة الملك لم ينفع الترغيب فيه، فأحدى فوائد هذه اللذة في الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة، ليكون ذلك باعثاً على عبادة الله عزّ وجلّ (...)) فانظر إلى حكمة الله تعالى، ثمّ رحمته كيف جعل شهوة واحدة حياتين: حياة ظاهرة، وحياة باطنة، فالحياة الظاهرة حياة المرء ببقاء نسله، والحياة الباطنة هي الحياة الأخروية، فإنّ في هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام تحرّك الرغبة الكاملة بلذة الدوام، فتحتّ على العبادة الموصلة)⁽⁴⁾.

ويمكن أن نقول إن كتاب الروض العاطر في نزهة الخاطر، للشيخ محمد بن أبي بكر النفزاوي، هو من أكثر هذه الكتب أنفة الذكر جرأة معرفية، واستقصاء

(3) - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276 هـ): عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة عام 1418 هـ، الجزء الأول، ص 44 - 45.

(4) - عن / محمد بن أحمد التجاني: تحفة العروس ومنتعة النفوس، تحقيق جليل العطية، دار رياض الريس للكتب والنشر، لندن/ قبرص، الطبعة الأولى جزيران، يونيو 1992م، ص 52،

علميا لمظاهر الحب وحالاته، وأخبار رجاله ونسائه، ويتكون هذا الكتاب من مقدّمة، وواحد وعشرين بابا، يتناول فيها الشيخ النفزاوي قضايا مهمة في طبيعة العلاقة الجنسية بين الرجال والنساء، وفي مجمل الصفات المحمودة والمكروهة في الرجال والنساء، وفي طرق الجماع وملذّاته، وفوائده وأضراره، بالإضافة إلى نوعية الأطعمة التي تسقط الأجنّة من أرحام النساء، وفي ذكر أسماء فروج النساء، وأسباب شهوات الجماع، وما يقوي عليه من الأطعمة والأشربة، بالإضافة إلى أبواب أخرى تتعلق بالنساء ومكايدهن، وأدوارهنّ المثيرة في الحياة الجنسية في مجتمعاتهنّ.

و نظرا لجرأة هذا الكتاب، واتهام الدارسين المتمزتين له بأنه يثير الفجور والشهوة بين النساء والرجال، فقد كان يورّع على نطاق ضيق جدا، وبشكل سرّي في المكتبات العربية، وبنوع من الحذر، والخوف من رقابة شرطة المطبوعات العربية الرسميّة، غير أنّه في الفترة الأخيرة انتشر بكثرة، بعد أن أفرج عنه، وأصبح يباع علنا في المكتبات العربية، باستثناء مكتبات المملكة العربية السعودية، فقد مُنِعَ منعاً باتاً من دخول هذه المكتبات العامة، وبقرار رسمي من وزارة الثقافة السعودية، غير أنّ هذا المنع لم يصب طبقة المثقفين الخاصة التي حصلت عليه بطرق شتى، وتداولته في المنازل والمجالس الخاصّة.

ويشير هذا الكتاب إلى الثقافة الموسوعيّة التي تمتّع بها الشيخ النفزاوي في معرفة نفسية المرأة، وخبايا جسدها ومكايدها. وعلى الرغم من أنّه كتاب إيروتيكي بامتياز، إلا أنّه استند إلى خلفية مرجعيّة دينية، تنهل من أحاديث رسولنا الكريم، عليه أفضل الصلاة والسلام، وعلى آله وصحبه أجمعين، وتنهل من آيات القرآن الكريم التي اقتبس منها الشيخ النفزاوي، وضمّنها في أخبار الكتاب، ليؤكّد من خلالها على أهمية الجنس في حياة الأفراد والمجتمعات، وقد أبدى الشيخ النفزاوي، من خلال كتابه، خبرة واسعة في قضايا ترتبط بالجنس ارتباطاً وثيقاً، ودوره في حياة الناس والمجتمعات البشريّة، وخبرة واسعة في أخبار نساء مجتمعه، وأساليبهن في المكيدة والنصب والاحتيال، التي تلعب فيها الإثارة الجنسية والجمالية دوراً مهماً. وقد ساعده في اكتساب هذه الخبرة كونه قد شغل منصب قاضي الزواج والأنكحة في تونس، ممّا جعله يعرف عن قرب أخبار النساء، وأسباب طلاقهن، وطبيعة علاقاتهنّ الجنسيّة بأزواجهنّ.

و تشير المادة العلميّة المدوّنة في هذا الكتاب إلى أنّ الشيخ النفزاوي، ومن خلال معرفته العلميّة، بالأدوية الطبيّة المستخلصة من الأعشاب والبذور والنباتات، كان صاحب رؤية علميّة، ابتعد فيها عن مفاهيم الشعوذة والسحر

والخرافة السائدة في المجتمعات الإسلاميّة، فجميع وصفاته الطّبية التي دَوّنها في كتابه تستند على الفوائد الطّبيّة الموجودة في المكونات النباتيّة لهذه الوصفات، وبخاصة في الأبواب الموسومة بـ: في ما يستدلّ به على أرحام النساء العقر وعلاجهن، وباب: أسباب شهوات الجماع وما يقوي عليه، وباب: في الأدوية التي تسقط النطفة من الرحم، وباب: في ما يكبّر الذكر الصغير ويعظّمه، وباب: في ما يزيل بخور الإبط والفرج، ويضيقه، وباب: في منافع البيض وأشربة تعين على الجماع.

لقد ركّز الشيخ النفرزوي على الإثارة الجنسيّة، وعدّها مفتاحاً مهمّاً للوصول إلى السعادة، وتحقيق اللذة، ورأى أنّ أهمّ ما يزيدها متعة وإشباعاً، ويجعلها نشطة يسهل الحصول عليها، هو استخدام العقاقير الطّبيّة المستخلصة من الأعشاب والنباتات. وهنا يمكن القول: (إنّ الإثارة الجنسيّة محاولة للوصول إلى المطلق من خلال الجسد، ولذلك يلزم المحافظة على صحة البدن حتى يقوم بأداء دور الوسيط، ومن هنا تكتسب العقاقير والأعشاب مكانتها الرفيعة اتساقاً مع القناعة بأهمية الدور الذي يلعبه الجسد)⁽⁵⁾.

ويفتتح الشيخ النفرزوي كتابه بمقدمة عن أهمية اللذة الجنسيّة، ودور أعضاء المرأة الجنسيّة في الوصول إلى هذه اللذة قائلاً: (الحمد لله الذي جعل اللذة الكبرى للرجال في فروج النساء، وجعلها للنساء في إيور الرجال. فلا يرتاح الفرج ولا يهدأ ولا يقرّ قراره إلا إذا دخله الأير ولا الأير إلا بالفرج).

فإذا اتصل هذا بهذا وقع بينهما الكفاح والنطاح وشديد القتال وقرب الشهوتين بالتقاء العانتين. وأخذ الرجل في الدكّ والمرأة بالهزّ بذلك يقع الإنزال.

وجعل لذة التقبيل في الفم والوجنتين والرقبة، والضّم إلى الصدر، ومصّ الشّفة الطرية. مما يقيم الأير في الحال.

الحكيم [الذي] زيّن بحكمته صدور النساء بالنعوذ، والرقبة بالغبّة. والوجنتين بالخرص والدلال. وجعل لهن بطونا مقعدات. وزينهنّ بالصرة العجيبة والأعكان والأخصار والأرداف الثقال. وأمدّ الأفخاذ من تحت ذلك وجعل بينهما حلقة هائلة شبيهة برأس الأسد في العرض إذا كان ملحمًا، ويسمى الفرج. فكم [من] مات عليه حسرة وتأسفاً من الأبطال!

وجعل له فما ولسانا وشفقتين، فأشبهه ما يشبهه وطأة الغزلان في الرمال.

(5) - د. عبد الوهاب بوحدينية: الإسلام والجنس، ترجمة هالة العوري، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى 1986م، ص 220،

ثمّ أقام ذلك كلّهُ على ساريتين عجيبتين — بقدرته وحكمته — ليس بقصار ولا بطوال. وزين تلك السواري بالركبة والفارة والعقب والعرقوب والكعبة والخلخال. وأغمسهنّ في بحر البهاء والسؤلّ والمسرة بالملمس النقيّ والمحزم البهيّ والمبسم الشهيّ.

سبحانه من كبير متعال خلق النساء وزينهنّ باللحوم والشعور والنحور والقَدّ والنهد والغنج والتغنيج، وجعلهنّ فتنة لجميع الرجال⁽⁶⁾.

ارتأيت أن أقتبس هذا النص الطويل من كتاب الشيخ النفزاوي، حتى يمكن للقارئ الكريم أن يلقي الضوء على طريقة النفزاوي، ومنهجه المتبع في تأليف هذا الكتاب الذي يعنى تحديداً بجماليات الجنس، وملذّاته، وطرقه وفوائده، وما يعين على تقويته ونشاطه، وهذا النص يشير بالتأكيد إلى العقلية المعرفية المنفتحة لدى هذا الشيخ، وهو يدلّ، بشكل واضح، إلى مدى التسامح الديني، بمذاهبه وطوائفه، في المجتمع الذي عايشه هذا الشيخ، وهو مجتمع الدولة الحفصية في تونس (1228 — 1574 م)، إذ شهد هذا المجتمع تسامحاً كبيراً في الحريات الدينية، وفي العلاقات العامة والخاصة، ونشطت فيه العلوم نشاطاً مزدهراً في جميع ميادينها.

ولم يمنع ورع هذا الشيخ العارف، وتقواه، ومنصبه الديني والفقهي من أن يصف، بكلّ حرية معرفيّة، أصول ممارسة الجنس وفنونه، والطريقة المثلى للإثارة الجنسية المحفّزة التي تصل إلى الذروة، ثم الرعشة الميكانيكية الجسدية. يقول في الباب السادس من كتابه: (اعلم يرحمك الله أنك إذا أردت الجماع عليك بالطيب. وإن تطيبتما جميعاً كان أوفق لكما. ثمّ تلاعبها بوساً ومصّاً وتقليباً في الفراش ظهرها وبطنها حتى تعرف أنّ الشهوة قربت في عينها. ثم تدخل بين أفعالها وتلوج أيرك في فرجها وتفعل. فإن ذلك أروح لكما جميعاً وأطيب لمعدتك).

قال بعضهم: إذا أردت الجماع الق المرأة إلى الأرض ولزّها إلى صدرك مقبلاً ففيها ورقبتها مصّاً وعضاً وبوساً في الصدر والبزازيل والأعكان والأخصار

(6) — محمد بن أبي بكر النفزاوي، الروض العاطر في نزهة الخاطر، دار رياض الريس للنشر للكتاب والنشر، لندن، الطبعة الأولى، أب، أغسطس، 1990م، ص 23 - 24 ومعاني الكلمات الصعبة في النص المقتبس: الغيب: ما يتدلى منتفخاً تحت الحناك. الخرص: الحلقة من الذهب والفضة. متفعدّات: متجدّعات. العكنة: ما انطوى وتثنى من لحم البطن. ملحماً: كثير اللحم. الفار: عضل الإنسان. العقب: عظم مؤخر القدم. العرقوب: وتر غليظ فوق العقب. غنجت المرأة: تدللت بملاحة. الغنج: الدلال.

وأنت تقلّبها يمينا وشمالا، إلى أن تلين بين يديك وتتحلّ. فإذا رأيتها على تلك الحالة أولج فيها أيرك. فإذا فعلت ذلك تأتي شهوتكما جميعا(7).

ومن الكتب المهمة جدا، والتي تُعدّ فريدة في موضوعها وخصائصها، وطريقة تأليفها، وجرأتها في كشف خبايا مجتمعتها، ومن دون عيب أو خوف أو خجل، من كشف ما هو مستور من هذه الظواهر، التي تبدو مخجلة ومعيبة بحق الرجال والنساء في المجتمعات العربية والإسلامية، هو الكتاب الموسوم بـ: (نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب) للفاضل التونسي الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي القيسي(1184/580م)، الذي عاش في ظل الدولة الحفصية في تونس. ويعد هذا الكتاب أول موسوعة عربية وإسلامية في الأدب الإيروتيكي الشاذ والمحرم، والذي ظل ممنوعا من تداوله في كثير من المكتبات العربية. ومن عنوانه يمكن أن نستدل على فريدة الموضوعات التي طرحها الشيخ شهاب الدين وجرأتها، التي قلّما نجدها في كتاب آخر، ولأنها لا توجد في كتاب آخر فهي تكتسب صفة التفرد في الكشف عمّا هو مستور من ظواهر جنسية تُعد محرّمة وشاذة في أعراف الناس وأخلاقهم وتربيتهم.

وتركّز هذه الظواهر في وصف الزناة، رجالا ونساء، والقوادين واللوطيين والنساء السحاقيات، وصفا جريئا قلّ نظيره في كتب الإيروتيكا العربية، سواء أكانت قديمة أم حديثة. ويقسم الشيخ التيفاشي كتابه اثني عشر بابا جاءت على الشكل التالي:

- الباب الأول: في الصفع وما فيه من الفوائد والنفع.
- الباب الثاني: في القوادين والقوادات، وما جاء فيها من نوادر وأشعار.
- الباب الثالث: في شروط الزناة وعلامات القحاب.
- الباب الرابع: في القحاب المتبدّلات ونوادر أخبارهن وملح أشعارهن.
- الباب الخامس: في نوادر أخبار الزناة وملح أشعارهن.
- الباب السادس: في شروط اللاطة وعلامات المؤاجرين.
- الباب السابع: في نوادر أخبار المُرد المؤاجرين وملح أشعارهم.
- الباب الثامن: في نوادر أخبار اللاطة وملح أشعارهم.
- الباب التاسع: في أدب الدبّ ونوادر أخباره وملح أشعاره.
- الباب العاشر: في إتيان الإناث كما في الذكور، وما قيل فيه من الأخبار والأشعار.

(7) - المرجع السابق، ص 83.

الباب الحادي عشر: في أدب السحاق والمساحقات، ونوادره وأخباره وأشعاره.
الباب الثاني عشر: في المخنثين وما جاء فيهم من الأخبار والنوادر والأشعار.
ولا يخرج الشيخ التيفاشي في مقدمة كتابه عن مقدمات الكتب التراثية المعروفة، إذ يضيف على هذه المقدمة طابعا دينيا يشير من خلاله أنه لا عيب ولا إثم في تأليف هذا الكتاب. ويقول في هذه المقدمة: (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم. الحمد لله الذي علّم طبع الإنسان في الملل، وعجزه عن تحمّل الأثقال، فأباح له الإحماض في الأقوال والأفعال، وجعل لكل وقت حالا من الأحوال. ولكلّ مقام مقاما يليق به من الأقوال، وجعل مُلح الأداب جلاء للعقول وصيقلا لصدأ الألباب، وحبّيبها لأهل المروءات في الخلوات كما حبّيبها لهم في الجلوات، وجعلها مع الخواصّ من الحسنات، ومع العوام من السيئات.

نحمده على نعمه التي لا تحصى ولا تُحدّد، ونصلي على نبيه محمد أزكى مَنْ مَرَّحَ وجدّ. وعلى آله وأصحابه صلوات لا تنحصر بعدّ، ولا تقف عند حدّ)⁽⁸⁾.
و إذا كان الشيخ التيفاشي يضيف على مقدمة كتابه هذا الطابع الديني الاحتفائي المادح والشاكر لله ورسوله، فكأنه يريد أن يقول لمعارضيه من الفقهاء والشيوخ المتزمتين: أنا أشد إيمانا منكم، وأكثر اتكالا على الله في عملي هذا الذي لا يخالف قوانين شريعته الإسلامية وأحكامها الفقهيّة والمعرفية، وأكثر فهما ودراية منكم بما جرى ويجري من أفعال منكرة ومخجلة تُرتكبُ سرا في مجتمعاتكم، وتتستر عليها هذه المجتمعات، وتعجز عن كشفها والحديث عنها، وأنا القادر على هذا الكشف بعقلية العارف القارئ المنفتح على ثقافات عصره ومعارفه وأخباره.

ويعتقد الشيخ التيفاشي أن كتابه هذا يقدم مادة معرفية وأدبية وتاريخية فيها كثير من المتعة والنوادر اللطيفة والفن والموسيقى، وفيه من المتعة الجمالية والفنية التي تفوق كثيرا مما تقدمه كتب الأسمار، وفيه من الأخبار المسلية العجيبة، والفوائد التي يرى أنها شريفة في مقاصدها وغاياتها. يقول عن أهداف منهجه في تأليف هذا الكتاب وجمعه: (إني جمعت فيه نوادر وأخبار، وملح وأشعار، وتضمّن نازلة عجيبة وحكاية غريبة، وأودع ملحّة ظريفة، أو نادرة لطيفة تُغني عن أحاديث الأسمار، ويختار سماعها على سماع نغمات الأوتار، ويُعتبر منها على بشاعة لفظها غاية الاعتبار. إذ ليس فيها باب إلا وقد اشتمل على

(8) — شهاب الدين أحمد التيفاشي: نزّهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب، تحقيق جمال جمعة، دار رياض الريس للنشر للكتب و النشر، لندن، الطبعة الأولى حزيران، يونيو 1992م، ص 43. الإحماض: الانتقال من الجدّ إلى الهزل.

فوائد شريفة وأخبار منيفة. ومعظم ذلك ممّا وقع في هذا الزمان وشاهدناه بالمغرب والمشرق أو شاهده من أخبرنا به من ظرفاء الإخوان. ممّا يسلي سماعه الأحزان، ويضحك الثكلان، ويغني عن مطربات القيان. وأسأل الله التجاوز عن الزلل في اللسان⁽⁹⁾.

و يركّز التيفاشي في كتابه على أوصاف النساء الزواني، وطرقهن في استجلاب الرجال، وإثارة شهواتهم، وعلى أوصاف الرجال الزناة القادرين على إثارة النساء، واستهوائهن، واستنفار شهواتهنّ الجنسية، ويضع بعض الشروط التي يجب أن تتوفر في الرجل الزاني حتى يكون قريبا من قلوب النساء، وقادرا على الوصول على أجسادهن، ومن دون عناء كبير، سواء أكان شابا أم شيخا، ويقول: (أول شرط الزاني: أن يكون شابا، فإن كان شيخا رأى في نفسه النكال وعرضها لتنف السبّال. ويكون صغير اللحية، فإن كان كبيرها بالطبع، فلا بدّ له من تقصيصها والأخذ منها وتسويتها. والسبب في ذلك أنّ النسوان إنّما يعشقن الأحداث من الرجال، فإن لم يكن للرجل لحية أصلا فهو مُنى قلب المرأة وغاية سُؤلها. قال أبو تمام:

أحلى الرجال من النساء مواقف

مَنْ كَانَ أَشْبَهُهُمْ بِهِمْ خُدُودًا

فإذا كان الرجل طاعنا في السنّ، كثّ اللحية، ردّ نفسه، بالخضاب والأخذ من شعر الوجه، إلى القرب من شبّه الأحداث.

ومن شروطه: عطرة الرائحة، وهو أمر مهم في هذا الباب، وسبب ذلك أنّ الرائحة العطرة تهيج شبق المرأة وتُحدّث لها شهوة عالية.

ومن شروطه أن يكون نظيف الثياب حسنها إن أمكنه، فإنّ المرأة تعشق الرجل في الثوب الذي يشاكله.

وأن يستكثر من الحَمّام واستعمال الحنّاء في شعره، فقد قالت الحكماء: " إنّ رائحة الحنّاء في الشعر تهيج قوى المحبة". وللحنّاء في الشعر خاصية عجيبة من العطرة تفوق رائحة المسك لمن تأمّل ذلك. وأن يستعمل السّواك والدهن، وأن تكون له تحف لطيفة ظريفة ممّا يتهدى لها، حسنة المنظر، قليلة الثمن، معدّة عنده ومعه.

وأن يكون من معارفه عجوزة قوادة يتعاهدها بالإحسان والافتقاد. وأن يكون رقيق القلب، سريع الدمعة، قادرا على البكاء متى شاء. ليكون متى أمكنه الكلام

(9) - المصدر السابق، ص 50.

مع محبوبه شكى أنه هالك من الوجد، متجاوز في ذلك الحدّ ثمّ استعبر. فإن ذلك إذا اتّفق من الرجل في خلوة مع امرأة، لا سيّما إن كان على الشروط المتقدّمة، فإنّها أطوع له من إحساسه، وأقرب لمراده من رَجع أنفاسه(10).

والمرأة عند التيفاشي أكثر فجورا من الرجل، وأشدّ تهالكا منه على الزنا والخيانة الزوجيّة، وقد أورد لها أخبارا ونوادير كثيرة، وحيلا عجيبة لاصطياد الرجال والإيقاع بهم في حبال فتنتها، وأطلق عليها تسميات عديدة مستمدّة من قواميس عصره، ورؤية هذا العصر للمرأة المتهتكة الزانية والقوادة. ومن هذه التسميات: فاجرة وقحبة وغيرة وسكرانة وحيرانة وشاطرة ومسافرة ومغنيّة ومظلومة(11).

وقد ذكر أهمّ العلامات والسمات التي يستدلّ بها الرجال إلى المرأة الزانية، ومن أهمّ هذه العلامات قوله: (فعلاماتها في الرجل الأجنبي ومحبتّها له فإن تراها إذا تحدّث معها تديم النظر إليه، وأن يعترّيها تتأوب، وأن تعبت بطرف ثوبها أو إزارها كأنّها تقلّبه، أو تنكث بإصبعها الأرض، أو تحرك إبهام رجلها بأن ترفعه وتضعه في الأرض، وأن تنظّف جسد ولدها وثيابه وتمشّطه وتكحله وتعرضه عليه، وأن تكثر ذكره والحديث عليه مع صاحباتها وجاراتها، وأن تضجر ويسوء خلقها بغير سبب إذا غاب عنها خبره، وإن كانت له زوجة أن تصادق زوجته وتكثر زيارتها، وإن رأت في بيته شيئا من خاصّ أسبابه أن تأخذه في يدها وتتولّع به، وإن وجدت فراشه استلقت عليه ولعبت فيه)(12).

ومن الكتب الموسوعيّة المهمّة في أخبار النساء، وأشعارهنّ، وصفاتهنّ الخلقية الجمالية، والشكليّة الجنسانية، وأحجامهنّ: طولاً وقصراً، ونحافة وثنانة، وتكوّرات جنسانية في أعضائهنّ، كنهودهن وفروجهنّ، وأطرافهنّ الخلفيّة والأماميّة، وفي استقباح المكروه منهنّ، واستحسان الجمالي المثير فيهنّ، الكتاب الموسوم بـ: (تحفة العروس ومتعة النفوس) لمؤلفه الشيخ التونسي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي القاسم التجاني، الذي كان موسوعيا في مؤلفاته الكثيرة، وفي النهل من ثقافة عصره (عصر المملكة الحفصية) في تونس، وثقافة مملكتي بجاية وتلمسان بالجزائر أيام الدولة نفسها.

لقد كان الرجل موسوعيا وأديبا وفتيا، وألّف كتباً عديدة في الفقه والأدب، وأخبار النساء وثقافاتهنّ، وطبيعة رؤيتهن لمجتمعاتهنّ، وعلاقاتهن برجال هذه

(10) - السابق، ص 95 - 96.

(11) - السابق، ص 101.

(12) - السابق، ص 98.

المجتمعات. ويأتي كتابه هذا ليكون جامعاً لكثير من أخبار النساء، اعتباراً من العصر الجاهلي، حتى عصر الدولة الحفصية في تونس، ومن هنا سرّ غزارة المادة العلمية في هذا الكتاب، وتشعبها، وامتدادها لتشمل فضاءات عديدة، زمانية ومكانية، ابتداءً من الجزيرة العربية إلى العراق إلى مصر وتونس والجزائر والمغرب، حتى إسبانيا العربية أيام الدولة الأموية فيها، يضاف إلى ذلك اتكاؤه على خلفية مرجعية ودينية ومهّمة، وهي القرآن الكريم، وأحاديث رسولنا عليه أفضل الصلاة والرحمة، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وقد قسم التجاني كتابه خمسة وعشرين باباً، جاءت على الشكل التالي:

1 - باب جامع في النساء وما يُتقى من فتنتهن، وما زينه الله سبحانه وتعالى في قلوب الرجال منهن، وحكمة الله تعالى في أن خلقهنّ والرجال من نفس واحدة، ليسكن بعضهم إلى بعض، وكراهة الخلوة مع غير ذات المحارم، وما يؤمر الرجل أن يفعله إذا رأى امرأة فأعجبتة.

2 - باب العفاف والتصون وثواب من منع النفس هواها وقمعها عن شهواتها المحرّمة ومناها.

3 - باب الحضّ على النكاح والإنكار على من ترك النساء زهداً، وذكر اختلاف الناس فيه في وجوب النكاح واستحبابه (13).

4 - باب تخيّر الرجل لنطفته، وبيان الخصال التي تتزوج لها المرأة. وما ينبغي للرجل أن يقصده من ذلك ومن يتجنب من النساء.

5 - باب فيما يباح للرجل من النظر للمرأة إذا أراد نكاحها.

6 - باب في ذكر الصدقات، وما ورد في كثرتها وقتلها، وكراهة المغالاة فيها.

7 - باب الوقت المستحبّ لعقد النكاح، وذكر الوليمة وما ينبغي أن يدعى به

للمتناكين.

8 - باب في جلاء العروس عند ابتداء زوجها بها، ودخولها على الرجل ليلاً أو نهاراً واستحباب اللهو في ذلك، وما ينبغي للرجل والمرأة أن يتمتّلاه عند الاجتماع، وقبل الوقاع، وذكر جمل من آداب الجماع.

9 - باب في الزينة والتطيب، وما ينبغي للمرأة من ملازمة ذلك، وأتّه من أعظم الأسباب الموجبة لحظوتها عند زوجها.

10 - باب زينة الرجل وما يُستحبّ له من التهيؤ لزوجته، كما يجب أن تنتهيأ له، والنهي عن إكراه المرأة الحسنة على أن تتزوج الرجل القبيح.

(13) - تحفة العروس ومثعة النفوس، ص 24،

- 11 — باب في معاشررة النساء وموافقتهن، وحقوق المرأة على الرجل، وما له من الحقّ عليها، وذكر وصايا من وصايا الحكماء لبناتهم عند إهدائهن.
- 12 — باب في السراري.
- 13 — باب في تفصيل الأسنان، وما ورد في ذلك من الاستقباح والاستحسان.
- 14 — باب في الأبيكار والثيب (14).
- 15 — باب في السمن والضمور.
- 16 — باب في الألوان.
- 17 — باب في الطول والقصر.
- 18 — باب في جامع في الملاحرة والجمال.
- 19 — باب في ذكر أوصاف النساء على الإجمال.
- 20 — باب ذكر أوصافهن على التفصيل، وما ورد في ذلك من المخايرة والتفصيل وفيه عشرون فصلا (15).
- 21 — باب جامع لذكر الجماع وبيان ما فيه من المنافع والمضارّ، وما قيل في الإقلال منه والإكثار، ومذاهب العرب في وطء الليل ووطء النهار، وذكر أسماء من أسماء النكاح منزلة على حسب ما نزلتها العرب في لغتها.
- 22 — باب الرهز في الجماع.
- 23 — باب الوطء فيما دون الفرج، وذكر صور من صور النكاح ورد ذكرها في بعض الأحاديث.
- 24 — باب في الغيرة وبيان ما يُحمد منها وما يذم.
- 25 — باب يشتمل على ملح من ملح المفاكهاة والمطايبات يتعلّق جميعها بالنكاح وهو خاتمة الأبواب (16).
- و بهذا التقسيم المتناسق في اختيار الموضوعات، يقوم الشيخ التجاني بتويب الأخبار وجمعها داخل فصول أخرى تدخل ضمن هذه الأبواب، مستندا على أكثر من مائة مصدر في شتى أنواع كتب التاريخ والفقه والأدب والشعر والتراجم، فعلى سبيل المثال، لا الحصر، يقتبس من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ما يلي: (عن المدائني عن فلانة قالت: كنت عند عائشة بنت طلحة فقيل قد جاء عمر بن عبيد الله يعني زوجها. قالت: فتنحيت ودخل، فكنت أسمع كلامهما فلاعبها مرّة ثمّ وقع عليها فشخرت ونخرت وأتت بالعجائب من الرهز، وأنا أسمع، فلما خرج،

(14) — نفسه، ص 25،

(15) — نفسه، ص 26.

(16) — نفسه، ص 27.

قلت لها: أنت في نفسك وشرفك ومروءتك وموضعك تفعلين هذا؟ قالت: إنّا نستهب لهذه الفحول بكلّ ما نقدر عليه وبكلّ ما يحركها، فما الذي أنكرتیه من ذلك؟ قلت: أحبّ أن يكون ذلك ليلاً، قالت: إنّه يكون ليلاً هذا وأعظم منه، ولكنّه حين يراني تتحرك شهوته ويهيج فيمدّ إليّ فأطوعه فيكون ما ترين، فقلت: يا عائشة لقد أوتي عمر منك ما لم يؤته أحد من أزواجك(17).

ولا يكتفي الشيخ التجاني بالأخذ من المصادر العديدة، والمتشعبة في المعرفة والثقافة، بل يسجّل خبراته الخاصّة وآراءه التي اكتسبها خلال رحلته الطويلة في شعاب المعرفة. وهو حين يبدي آراءه حول أهمية الجنس، فإنه يثبت هذه الآراء بطريقة تبدو أقرب إلى لغة المعرفة الموضوعية. يقول عن أهمية الجنس ومنافعه ومكانته بين الملدّات:(الجماع هو من أعظم اللذات الجسمانية، وأقوى الشهوات الحيوانية. وذكر الأطباء من منافعه أنه ينشط النفس ويسرّها ويزيد في النشاط ويزيل الغضب ويذهب بالفكر الرديئة والظنون السيئة، حتى أنه ربما أبرأ من المالنخوليا وأنه يسكّن عشق العشاق إذا أكثروا منه، وإن كان مع غير من يهوونه، ويخفف عن البدن الممتلئ، وهو عظيم النفع لأصحاب الأبدان القويّة العبلة، الكثرة الدم، ومضّر لمن كان بضدّ ذلك)(18).

وهنا تجدر الإشارة إلى أن أهم الكتب الجنسية التي كتبها الشيوخ والفقهاء والقضاة، وأكثرها جراً في استخدام لغة الخطاب الجنسي، ومفرداته الإيروتيكية، والحديث عن الجنس واللذة الجنسية، وما يثيرها وينعظها دائماً، هو كتاب (رجوع الشيخ إلى صباه في القوة على الباه)(19)، لمؤلفه الشيخ الإمام أحمد بن سليمان بن كمال باشا، فقد قام بتأليفه بناء على طلب السلطان التركي سليم الأول (10 سبتمبر 1470 م — 21 سبتمبر 1520م)، ويمكن القول إنّ هذا الكتاب يشكّل موسوعة طبيّة مصغّرة في تقديم وصفات طبيّة خاصة، ومتنوعة من الأدوية والأغذية التي تسهم في مضاعفة قدرات الرجال على النكاح.

ولا يتوانى هذا الكتاب في أن يتطرق إلى تفاصيل أسرار الرجال، وعلاقاتهم الجنسية مع نساء عصرهم، وطرقهم في تقوية قدراتهم على الانتعاض الجنسي المتوتّب دائماً، وهو في الآن نفسه يعري كل خصوصيات النساء، ويفضحها، وما يناسبهن من مظاهر الزينة والجمال، التي تساعدن على أن يبقين مثيرات جمالياً

(17) - نفسه، ص 375 - 376. و نستهب: نتشهى.

(18) - نفسه، ص 351.

(19) - رجوع الشيخ إلى صباه في القوة على الباه، منشورات دار الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1891 م.

وجنسيا، ومرغوبات دائما في عيون أزواجهن وعشاقهن، وقادرات على جذب عقولهم وأرواحهم.

إنه يركز على الوصفات الطبية التي تعين على تقوية الباه من جهة، ووقف جراً كبيرة، من جهة أخرى، في استخدام لغة إيروتيكية شبيقة، يتفرد بها، ولا توجد في الكتب الأخرى.

وتتمظهر هذه اللغة في بنية الحكايات، وفي بينة الأخبار والوصفات الجنسية التي يختارها الشيخ ابن كمال باشا، ويسجلها من دون خوف أو وجل من شخوص مجتمعه، رجالا ونساء، شبابا وفتيانا. وعندما يسجل الشيخ مفردات هذه اللغة الجنسية المتزامنة مع الفعل الجنسي الإيروتيك، يخيل للقارئ أن هذا الشيخ الجليل كان حاضرا مع الفعل الجنسي، مراقبا له، ومنصتا لتأوهاتة، ومفرداته الخاصة الصادرة في لحظة تحققه، ووصول النساء والرجال إلى قمة الشهوة واللذة. وأنه يريد أن يشرك السلطان سليم الأول في استحضار المتعة الجنسيّة تخيلا، وحلما واستحضارا لأجساد نساء، هنّ في غاية الجمال الجنساني، إثارة وغنجا ودلالا، وقدرة على تشكيل لغة الجنس بأعلى درجات حريتها وجراتها.

ولعلّ طبيعة اللغة الجنسية المثيرة المستخدمة في هذا الكتاب هي التي دفعت كثيرا من الدارسين والشيوخ المتمزتين، والقراء المحافظين إلى عدّه كتابا فاحشا فاضحا، وبذيئا، وإلى الغمز في أخلاق مؤلفه واتّهامه بالفجور والمنقصة في دينه وخلقه، وتوجيه أقسى التهم السيئة والبذيئة، والتي تفوق الألفاظ الجنسية الفاحشة الموجودة في هذه الكتاب. وهي السبب التي دفعت كثيرا من المكتبات إلى منع انتشاره والخوف من طباعته، ودفعت عددا من وزارات الثقافات العربية إلى حجبها ومنع تداوله.

غير أن جميع محاولات منع الكتاب ومحاربتة، وإبعاده عن أيدي المراهقين، إرضاء لفقهاء الأصوليّة الإسلاميّة المتزمتة، وخوفا منهم لم تفلح، إذ قامت كثير من المكتبات الإلكترونيّة المنفتحة على ثقافات الأمم والشعوب وتراثها، سواء أكانت هذه الثقافات إباحية منفتحة، أم متزمتة منغلقة، بنشر هذا الكتاب على صفحاتها الإلكترونيّة، وإتاحة إمكانية تحميله كاملا، وحرًا مجانا.

ويقسم الشيخ ابن كمال باشا، كتابه إلى الأبواب التالية:

{الباب الأول} من الجزء الأول في ذكر مزاج الإحليل وما يتعلق بذلك الأمر.
{الباب الثاني} في ذكر مزاج الاثنين وما يتعلق بذلك من أمر الباه، {الباب الثالث} في ذكر الضرر الذي يحصل من الإسراف في استعمال الباه، {الباب الرابع} في تلاحق الضرر الحادث عن الإفراط في الباه، {الباب الخامس} فيما

يجب أن يستعمل بعد الجماع وتدارك خطأ من غلب عليه البرد، {الباب السادس} في ذكر منافع الباه وما الذي نقل عن الحكماء في ذلك، {الباب السابع} في الأوقات التي يستحب فيها الجماع ومدد النكاح ورداءة أشكاله {الباب الثامن} في مقدمة يلزم معرفتها لمن أراد تركيب أدوية الباه، {الباب التاسع} في معرفة الأدوية المفردة الزائدة في الباه {الباب العاشر} في ذكر الأدوية المركبة الزائدة في الباه {الباب الحادي عشر} في معرفة الأذهان الزائدة في الباه، {الباب الثاني عشر} في المسوحات الزائدة في الباه، {الباب الثالث عشر} في الضمانات والأدوية والأطلية الزائدة في الباه، {الباب الرابع عشر} في تركيب الجوارشات الزائدة في الباه {الباب الخامس عشر} في المربيات الزائدة في الباه، {الباب السادس عشر} في السفوفات الزائدة في الباه، {الباب السابع عشر} في تركيب الحقن الزائد في الباه {الباب الثامن عشر} في الحمولات والفتائل الزائدة في الباه، {الباب العشرون} في تركيب اللبانات الزائدة في الباه، {الباب الحادي والعشرون} في المشمومات الزائدة في الباه {الباب الثاني والعشرون} في الأغذية الزائدة في الباه {الباب الثالث والعشرون} في ذكر الأشياء المنقصة لشهوة الباه {الباب الرابع والعشرون} في ذكر ما يطول الذكر ويغلظه ويزيد فيه، {الباب الخامس والعشرون} في ذكر الأدوية الملذذة للجماع {الباب السادس والعشرون} في ذكر الأشياء المعينة على الحبل، {الباب الثامن والعشرون} في ذكر الخواص الزائدة في الباه {الباب التاسع والعشرون} في ذكر الخواتم والطلاسم والأسماء المختصة بالباه {الباب الثلاثون} في تقاسيم أغراض الناس ومحبتهم وعشقهم (20).

وها هو الإمام ابن كمال باشا يوضح الأهداف الرئيسية التي دفعته لتأليف كتابه، ويلخص أهم الموضوعات التي تناولها بالعرض، والتي سبق له وأن أشار إليه في أبواب كتابه، ولا ينسى أن يتخذ من الطابع الديني غطاء تبريرياً لما سيأتي من مصطلحات الألفاظ الجنسية، والصور الإيروتيكية التي ترد مثيرة وشبقة في جميع أبواب الكتاب. ويقول: (الحمد لله الذي خلق الأشياء بقدرته وأتقنها بلطفه صنعته ودبرها بحكمته، أحمدته على نعمته وأصلى على محمد خير خليفته وعلى آله وصحبه وعترته...) {قال المؤلف رحمه الله} لما خلق الله تعالى جلّ جلاله اللذات وقرنها بالشهوات جعل أفضلها المناكح التي يتم بها النش ويكثر بها النسل وكان من تفضيله لذلك أنه ذكره في كتابه العزيز فقال "زَيْن للناس حب الشهوات من النساء والبنين" وكان أحق الناس بإحراز علم الباه والازدياد منه والاحتياط عليه

(20) - السابق، ص 4 - 5.

الملوك والطبقة التي تقرب منهم من خواصهم وإتباعهم لما يعاينونه من أمر النساء وكثرة ما يجدونه منهن وليكملوا بذلك سياسة ما ظهر وليتميزوا عن العوام بحسن الترتيب ومخالفة الصنيع وقد وصفنا لهم في هذا الكتاب من علوم الفلاسفة وتجارب الحكماء وأقوال المتمتعين بالباه وحكاياتهم وما وصفه أصحاب علوم الباه في كتبهم من خفي الطبائع وعجيب المركبات وغامض الأشياء التي يستغني بها من نظر فيها عن غيرها وذكرنا من الحكايات الباهية وأخبار القيان وما يهيج جماع من يريد الجماع وينبه شهوته ويعينه على لذته وذكرنا من آداب النساء والرجال وما يلزم كل أحد منهم عند المباشرة وذكرنا شهوات والنساء والرجال وتقاسيمها وأنواعها وذكرنا أبواب الجماع وصفاته والاستلقاء والاضطجاع والقيام والقعود وصفات الجماع الذي لا تحبل منه المرأة والجماع الذي تحبل منه وصفة الرسل والسفارة والمحادثة والقبل وغير ذلك والله الموفق.(21).

و نأخذ المقطع التالي من الباب الخامس والعشرين، الموسوم بـ: (في تركيب الأدوية المألوفة للجماع)، إذ يبدي الشيخ ابن كمال باشا في هذا الباب خبرة كبيرة في أوضاع النكاح وطرقه، وأفضل الحالات التي تحقق للرجل والمرأة، معاً، متعة عالية في أعلى درجات تحققها، و يطلق عليها اسم (لذة لا توصف)، حين يقول: (وينبغي قبل ذلك أن نذكر الشكل الذي تستلذه المرأة عند الجماع وهو أن تستلقي على ظهرها ويلقى الرجل نفسه عليها ويكون رأسها منكساً إلى أسفل كثير التصوب ويرفع أوراها بالمخدة ويحك برأس الكمره على سطح الفرج يدغدغه ثم يعمل ذلك ما يريد فإذا أحسّ بالإنزال فيدخل يده تحت أوراها ويشيلها شيئاً عنيفاً فإن الرجل والمرأة يجدان لذة لا توصف)(22).

وليست كتب الجنسية، آفة الذكر، هي الوحيدة التي دونت أخبار النساء والرجال، وعلاقاتهم الجنسية، سواء أكانت منحرفة شاذة، أم طبيعية، بل نجد كثيراً من أخبار الحب والجنس قد احتفت بها الكتب الكلاسيكية الأدبية والتاريخية المعروفة، مثل كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، وكتاب أخبار النساء لابن قيم الجوزية، وكتاب روضة المحبين ونزهة المشتاقين، و هو لابن قيم الجوزية أيضاً، وكتاب العقد الفريد للفقير الأندلسي أحمد بن محمد بن عبد ربه، وكتاب المستظرف من أخبار الجوارح للإمام السيوطي، وكتاب المستظرف في كل فن مستظرف، للشيخ الإمام محمد بن أحمد الخطيب الأبيشي، وكتاب أخبار الظرف

(21) - نفسه، ص 5 - 6.

(22) - نفسه، ص 56.

والمتماجنين للحافظ ابن الجوزي، وكتاب مفاخرة الجواري والغلمان للجاحظ، وكتب أخرى عديدة.

وقد أوردت هذه الكتب أخبار النساء الزواني والسحاقيات، والقوادات وحكاياتهن بشكل واضح وصريح، فعلى سبيل المثال يذكر ابن عبد ربه الخبر الآتي في كتابه العقد الفريد: (من يضرب به المثل من النساء. يقال: أشأم من البسوس، وأحمق من دُغَة، وأمنع من أم قرفة، وأقود من ظلمة، وأبصر من زرقاء اليمامة (...)) وظلمة امرأة من هذيل زنت أربعين عاما، فلما عجزت عن الزنا والقود اتخذت تيسا وعززا، فكانت تُنزي التيس على العنز، فقيل لها: لم تفعلين ذلك؟ قالت: حتى أسمع أنفاس الجماع⁽²³⁾.

وإذا كانت كتب الجنسانية العربية والإسلامية، في معظمها، تشرح للرجال الطرق المثلى للوصول إلى أعلى درجات اللذة، وتقدم لهم الوصفات الطبية الناجعة التي تدفع بشبقهم وانتعاشهم إلى الحالات القصوى، فإنها في الآن نفسه، قد قدمت للنساء العاشقات، طالبات اللذة، مفاتيح مهمة جدا، ومعرفة فنية تجعلهن قدرات على فهم آلية التعامل مع أجساد الرجال، واستنفار طاقاتهم الشهوانية إلى أقصاها، حتى يكونوا قادرين على إيصالهن إلى الرعدة الجنسية التي تهز أجسادهن وأرواحهن عذوبة ولذة. وها هو الإمام جلال الدين السيوطي، يقدم أحد هذه المفاتيح للنساء، عاشقات اللذة، والباحثات عنها، قائلا: (ومن أرادت من النساء أن تظفر بلذة النيك: فلتلاعب الرجل، وتفأكهه، وتدعوه إلى نفسها، وتلبس ثوبا رقيقا يصف بشرتها، وتقبض على أيره، ويقبض هو على كسها، ولا تزال تهز أيره من غير أن ترهقه، حتى يشتد قيامه، و سخونته، وتمتد عروقه في يدها، فإذا اشتد عليه ضرب عليها، وهاجا معا، ثم تعانقه بيدها اليمنى، وهي ماسكة ذكره بيدها اليسرى، ويقبل عينيها، ويلوي برأسها، وتملط هي فاه، وتدنو منه؛ فاتحة فاهها بعض الفتح، كأنها ثملت، وقد أرخت رجليها، ورجعت إليه حتى ألصقت صدرها بصدره، ووضعت كمرته بباب كسها، ثم ترفع رجليها فتضعها على منكبيه، وضعا ليستبين به فلق كسها، وركبها، فعند ذلك يركس ذكره في كسها بكل قوته، ويرهزها مع الشخير، والنخير، والححمة، والصهيل، وحينئذ تجد حلاوة ولذة في جميع عروقها ومفاصلها)⁽²⁴⁾.

(23) — أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، دار الفكر، دون تاريخ، دون بلدة النشر، الجزء الثالث، ص 9.

(24) — الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت 911 هـ): نواضر الأيك في معرفة النيك، تحقيق وتعليق: طلعت حسن عبد القوي، دار الكتاب العربي، دمشق، دون تاريخ، ص 57.

بعد أن ذكرت أهم كتب الجنسانية العربية الصريحة والمكشوفة، وبعضاً مما جاء فيها من أخبار النساء والرجال، ومظاهر الجنس وحالاته في المجتمعات العربية والإسلامية، أشير إلى كتابين مهمين حديثين من الكتب التي صدرت حديثاً، والتي اتخذت الحديث عن الحب والجنس موضوعاً رئيساً ووحيداً في جميع فصولهما، وأرى أن هذين الكتابين هما من أهم الكتب الأكاديمية التي درست الحب والجنس دراسة علمية موضوعية تعتمد البحث العملي الأكاديمي منهجاً وطريقاً في التحليل والنقد والعرض والاستنتاج المنطقي الذي يعتمد على منهج البحث العلمي الذي هدفه الأمانة العلمية والوصول إلى الحقائق والنتائج بطريقة منطقية منظمة، وهذان الكتابان هما: الأول: وهو الإسلام والجنس للأستاذ الدكتور التونسي عبد الوهاب بوحديبة، أستاذ بالجامعة التونسية ورئيس المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، والمنشور في طبعته الأولى باللغة الفرنسية، والمترجم إلى اللغة العربية بوساطة السيدة هالة العوري، والثاني هو الموسوم بـ: الحب عند الفقهاء، (عرض - دراسة - تحليل) للأستاذ الدكتور محمد حامد شريف من مصر، عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دمياط الجديدة، وإذا كان كتاب الدكتور عبد الرزاق بوحديبة على قدر كبير من الجراءة والشجاعة في العرض والتحليل وإثبات النصوص الجنسانية، نظراً لأن الرجل تربى في جامعات فرنسا، ونهل من ثقافتها، وقيمها في الحريات والليبراليات، وتحديداً في السوربون، حيث حصل على الدكتوراه في هذه الجامعة، فإن كتاب (الحب عند الفقهاء) انهمك في ظاهرة الحب، تحديداً، عند الشيوخ والفقهاء، وابتعد عن نصوصهم الإيروتيكية ابتعاداً واضحاً، واقتصر على نصوص الحب، والحب العذري وأخبار العاشقين عبر التاريخ، ولم يعرض لنص جنساني واحد، على الرغم من الجهد الأكاديمي الكبير المبذول في تأليف الكتاب، والسبب الرئيس في ذلك كونه أزهرى النشأة، وتربى في جامعة الأزهر وقيمها الصارمة والمنتزعة في دراسة الجنس والكتابة فيه، ودرس فيها، وهو يخاف من أن يكتب في قضايا الجنس والتطرق إليه ودراسته دراسة علمية جرئية، ولذا اكتفى بدراسة نصوص الفقهاء والشيوخ وجمعها وتحليلها وعرضها عرضاً أكاديمياً منظماً، فأتى كتابه مهماً ومفيداً من حيث موضوعه، ومسانداً للدراسات التي كتبت في هذه الظاهرة، والتي ستكتب مستقبلاً.

ومن الكتب الأخرى الحديثة التي تحدثت عن مواضيع ذات صلة واضحة وقوية، بالحب والجنس والنساء، وخيانات النساء الجنسية ومكايدهن، وعن العلاقات الجنسية وتطورها بين النساء والرجال، وعن الشذوذ الجنسي الذي

يمارسه الرجال والنساء، وعن العلاقات الجنسية المحرّمة التي تحدث خارج منظومة أخلاقيات الزواج، وقيمه الدينية، الكتب التالية: السحاق والبغاء في الشريعة والفلسفة⁽²⁵⁾، وكتاب الغيرة والخيانة⁽²⁶⁾، وكتاب الإسلام والعلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة⁽²⁷⁾، وكتاب: المرأة في الإسلام⁽²⁸⁾، وكتاب: جرائم المرأة.. العالم السري للنساء⁽²⁹⁾، وكتاب: مجتمع القاهرة السري (1900 – 1905)⁽³⁰⁾، وكتاب: الأنكحة الفاسدة⁽³¹⁾، وكتاب: ظاهرة انحلال الصفة – القوادون والسياسة، تاريخ البغاء في نصف قرن⁽³²⁾، وكتاب: البغاء أو الجسد المستباح⁽³³⁾، وكتاب: المرأة والجنس⁽³⁴⁾، وكتاب: الحبّ في حضارتنا الإسلامية⁽³⁵⁾، وكتاب: سوسولوجيا الجنسانية العربية⁽³⁶⁾، وكتاب: الجنس والسلطة في ألف ليلة وليلة⁽³⁷⁾، وكتاب: الاستبداد السلطوي والفساد الجنسي في ألف ليلة وليلة⁽³⁸⁾ وكتاب: نساء السلطة في ألف ليلة وليلة - الفكر والسلوك⁽³⁹⁾،

(25) د. عالية محمد شعيب: السحاق و البغاء في الشريعة و الفلسفة، Ethics lab ، LLC ، أمريكا، الطبعة الأولى 2005 م.

(26) د. عادل صادق: الغيرة والخيانة، دار الشروق، القاهرة/ بيروت، الطبعة الأولى 1413 هـ - 1993/ م.

(27) محمد محمد جاد: الإسلام و العلاقات الجنسية بين الرجل و المرأة، دار النجاح للطباعة، الإسكندرية، الطبعة الأولى 1979م.

(28) الشيخ محمد الغزالي، و د. محمد سيد طنطاوي، و د. أحمد عمر هاشم: المرأة في الإسلام، مؤسسة أخبار اليوم، إدارة الكتب والمكتبات، القاهرة، الطبعة الأولى 1991م.

(29) أشرف مصطفى توفيق: جرائم المرأة.. العالم السري للنساء، مكتبة رجب، القاهرة، الطبعة الأولى، يناير 1997م.

(30) عبد الوهاب بكر: مجتمع القاهرة السري (1900 – 1905)، دار العربي، القاهرة، الطبعة الأولى 2001م.

(31) ناصر عبد الرزاق: الأنكحة الفاسدة – أنواع الزواج الفاسد قبل وبعد الإسلام، مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة، الطبعة الأولى 2006م.

(32) عبد الله كمال: ظاهرة انحلال الصفة – القوادون والسياسة، تاريخ البغاء في نصف قرن، منشورات كتب عربية، القاهرة، طبعة فبراير 1998م،

(33) فاطمة الزهراء ازرويل: البغاء أو الجسد المستباح، دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء/ المغرب، الطبعة الأولى 2001،

(34) د. نوال السعداوي: المرأة و الجنس، دار و مطابع المستقبل، القاهرة، الطبعة الرابعة 1990م.

(35) د. فاطمة المريني: الحب في حضارتنا الإسلامية، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى 1984 م.

(36) د. عبد الصمد الديالمي: سوسولوجيا الجنسانية العربية، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، كانون الثاني، يناير 2009م.

(37) د. محمد عبد الرحمن يونس: الجنس و السلطة في ألف ليلة وليلة، مؤسسة الانتشار الأدبي، لندن 1998م.

(38) د. محمد عبد الرحمن يونس: الاستبداد السلطوي والفساد الجنسي في ألف ليلة وليلة/ الدار العربية للعلوم - ناشرون، بيروت/ مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى 2007م.

وكتاب: الجنس والحريم.. روح السراري — السلوكات الجنسية المهمّشة في المغرب العربي⁽⁴⁰⁾، وكتاب: البغاء عبر العصور — أقدم مهنة في التاريخ⁽⁴¹⁾ وغيرها من الكتب المهمة الأخرى.

وأنهي هذا البحث باختيار كتاب من هذه الكتب، لأعرض بعضا ممّا جاء فيه، وهو كتاب: الحب عند الفقهاء — عرض ودراسة وتحليل، للأستاذ الدكتور محمد حامد شريف.

يشكّل الكتاب بحثا أكاديميا واسعا في الأدب العربي المعاصر، وتتجلى أهميته في أنّه عرض لمعظم آراء الفقهاء الإسلاميين في الحب، وتقصّى أخبار العشاق والمحبين، وحكاياتهم من خلال مصادر التراثية التاريخية والأدبية والموسوعية، هذه المصادر الإسلامية التي تحدثت عن الحب بوصفه ظاهرة عاطفية وإنسانية كريمة محكومة بمشاعر قوية وعميقة البعد في شغاف النفس البشرية من جهة، ومن جهة أخرى محكومة بغرائز جنسانية، تفور أو تهدأ وفقا لمواضع أخلاقية واجتماعية تحددها طبائع المجتمع وعاداته وتقاليده المتوارثة. وقد قسم الباحث الدكتور محمد حامد شريف كتابه ثلاثة أبواب وستة فصول، بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة.

في الباب الأول جمع الباحث كثيرا من الآراء التي حددت مفهوم الحب، ثمّ درسه من خلال الكتابات الأولى التي اهتمت به كظاهرة عاطفية وجمالية، وذلك في فصلين: الأول بعنوان: تطوّر مفهوم الحب، وأنواعه ومزاعم المستشرقين حول ظاهرة الحبّ العذري عند العرب. والثاني بعنوان: الحب بين الفلسفة وعلم النفس، وقد عرض فيه مفهوم الحب الأفلاطوني من خلال كتاب المائدة لأفلاطون، ثمّ لأول مائدة حبّ في الإسلام على غرار مائدة أفلاطون، واعتبر أنّ مجلس يحيى بن خالد البرمكي الذي ضمّ عددا كبيرا من علماء الفلسفة الإسلامية، والذي خُصص للحديث عن العشق وما يتعلّق به هو الصورة المقابلة لمائدة أفلاطون، ثمّ عرض لرسالة إخوان الصفا، وأهمّ ما جاء فيها من مفاهيم الحب وأحاديثه وأخباره، ثمّ لمفاهيم الحب عند ابن سينا، ورسالته في العشق، ثمّ لظاهرة الحبّ من

(39) - د. محمد عبد الرحمن يونس: نساء السلطة في ألف ليلة وليلة - الفكر والسلوك، منشورات دار مجلة مقاربات، المغرب، فاس، الطبعة الأولى 2010م.

(40) - مالك شبل: الجنس والحريم.. روح السراري — السلوكات الجنسية المهمّشة في المغرب العربي، ترجمة عبد الله زارو، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء / المغرب، الطبعة الأولى 2010 م.

(41) - سلام خياط: لبغاء عبر العصور — أقدم مهنة في التاريخ، دار رياض الريس للكتب و النشر، لندن، الطبعة الأولى 1992م.

خلال مفاهيم علم النفس، وآراء علمائه، دارسا ومحللا هذه الآراء، معقّقا عليها، وشارحا لها.

أمّا الباب الثاني فهو بعنوان: صدى العاطفة في أدب الفقهاء، وقد مهّد له بقوله: (قد يعجب القارئ للحديث عن حبّ الفقهاء، ربّما لانشغالهم بجدّ الأمور وانصرافهم إلى ما عُرف عنهم من التقوى والورع والبعد عن الشبهات، وهذا خطأ لأن التقوى والورع لا يميّزان الغرائز، ولا يكتبان الدوافع الطبيعية، وقد يعجب من يظن أنّ التفهّم في الدين والتنسّك في العبادة ممّا يمنع خفوق القلب بالهوى والتهاب الجوانح بالشوق وهذا خطأ لأنّ العواطف الإنسانية لا تُكَبّت بدراسة الفقه والتفسير والحديث. ولكنّ هذه الدراسة (تساعد) على إعلاء الغرائز وسمو العواطف، فالفقيه العاشق أقرب إلى تصوّف غالبا من الأديب العاشق لأنّ له من فقهه الديني وإحساسه بمكانته في المجتمع ما يسمو به عن الريبة والظنّ)⁽⁴²⁾.

ثمّ ذكر الباحث بعضا من الأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكّد أنّ الحب، في بنيته الأساسية العميقة، هو موقف شعوري يصعب امتلاكه، من ذلك قول رسولنا الكريم، عليه أفضل الصلاة والسلام: (اللهمّ هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك). ص 42. ويعلّق الباحث على الحديث النبوي الشريف قائلا: (فهذا الحب الذي لا يملكه الرسول(ص) يجعله بحقّ إنسانا...) يأنس قلبه إلى الوجه الحسن، ويشعر بالجمال كسائر البشر، وصدق الله: (قل إنّما أنا بشر مثلكم). ص 43.

كما حاول الباحث أن يركّز على الجهود التي قام بها بعض عظماء الإسلام لتقريب المحبّين، فقد عُرف عن هؤلاء أنّهم سعوا لتقريب المحبّين وتحقيق التواصل بينهم، على سنة الله ورسوله، وأشفقوا عليهم ممّا يعانونه من صباغة ووجد، وعشق مبرح، ومن ذلك أنّ جارية شكت لعلي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، حبّ شاب كان يؤدّن للصلاة، واعترف بحبّه لها، فدعاه الإمام علي، وزوّجه منها، ودفعها إليه.

كما شفّع النبي محمد(ص) لأحد العشاق المتيمين عند محبوبته، فقد روى البخاري في صحيحه: أنّ (مغيثا) عشق زوجته بعد فراقها، وقد صارت أجنبية منه بالعنق، فكان يمشي خلفها، ودموعه تسيل على خديه، فقال(ص) لها: لو أرجعتيه،

(42) — د. محمد حامد شريف: الحب عند الفقهاء - عرض ودراسة وتحليل: منشورات التركي، طنطا/ مصر، الطبعة الأولى 1992م، ص 42، وجميع أرقام الصفحات المأخوذة من الكتاب ستوضع بعد الآن في متن الدراسة بعد الاقتباسات.

فقلت: أتمرني يا رسول الله؟ فقال: (إنما أنا شافع)، قالت: لا حاجة لي فيه. ص 44.

وذكر الفصل كثيرا من حالات العشق والحب عند العلماء والقضاة الذي أحبوا، وطربوا لشعر الغزل، وأنشدوه، ومنهم القاضي الجرجاني، مؤلف كتاب الوساطة، وقاضي القضاة ابن خلكان، وأبو السائب المخزومي، والقاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر، من أعلام المذهب المالكي. وقد درس الباحث مفهوم الحب عند الصوفيّة، وأخبار عشاق الصوفية، وشهداء الحبّ عندهم، ونذكر من هذه الأخبار ما يلي: (كان أبو حازم الأعرج من فضلاء التابعين، وله في الزهد والورع أخبار وأحاديث، وقد خرج يوما يرمي الجمار فإذا هو بامرأة حاسرة، وقد فتنّت الناس بحسن وجهها وألهمت بجمالها، فقال لها: يا هذه إنك بمعشر حرام وقد فتنّت الناس وشغلّتهم عن مناسكهم فاتقي الله واستتري، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: (وليضربنّ بخرمهن على جيوبهنّ). فقلت: إني من اللاتي قيل فيهنّ:

أماطت كساء الخزّ عن حرّ وجهها

وألقت على المتنين بردا مهلهلا

من اللاتي لم يحجبن بيبغين حسبة

ولكن ليفتن البريء المغفلا

فقال أبو حازم لأصحابه: تعالوا ندع الله لهذه الصورة الحسنة (...). أن لا يعذبها الله بالنار، فجعل أبو حازم يدعو وأصحابه يؤمنون، فبلغ ذلك الشعبي فقال: ما أرقكم يا أهل الحجاز وأظرفكم! أما والله لو كان من قرى العراق لقال اغربي عليك لعنة الله)، ص 51.

هذا وقد اعتاد المتصوفون في الفكر الإسلامي أن يتساموا بالحب الروحي عن الحب الجنسي الشهواني، وقالوا: (إذا استولى الحب أدهش عن إدراك الألم.. وقد سمع أبو الفتح الصوفي هذا البيت:

وجهك المأمول حجّتنا يوم يأتي الناس بالحجج

فتواجد وصاح ودقّ صدره، إلى أن أغمي عليه وسقط، فلمّا انقضى المجلس

حرّكوه فوجدوه ميتا، فغسلوه ودفنوه). ص 59.

و في الفصل الثاني من الباب الثاني عرض الباحث لأعلام الشعر الوجداني من الفقهاء، وهم: عبيد الله بن عبد الله بن مسعود، وعروة بن أذينة، وعبد الرحمن القس، والإمام الشافعي، وابن داود الظاهري، وابن حزم الأندلسي، حيث تناول شعر الغزل عندهم بالنقد والتحليل محاولا إبراز الاتجاه العفيف في حبّ هؤلاء الفقهاء، ونكتفي، على سبيل المثال بنموذج حب عبد الرحمن القسّ لمحبوبته سلامة

التي اشتهرت بجمالها الباهر، وسحر بهائها، وقد ذاع حبها لسلامة، وحبه له، حتى قيل عنه: سلامة القس، ولما سمع الخليفة الأموي يزيد بن معاوية بحبها سألها أن تحكي له شيئاً من ذلك، فقالت: (يا أمير المؤمنين لقد جاء مع الليل وإن المجلس لخال ما فيه غيري وغيره...) فغنىته أحرّ غناء وأشجاء، وكان العاشق فيه يطرب لصوتي، ثم يطرب الزاهد فيه (...). كما يطيش الطفل ساعة ينطلق من حبس المؤدب (...). فلما ظننتني ملأت عينيه وأذنيه ونفسه وانصببت إليه من كل جوارحي ملت إليه وقلت: (أنا والله أحبك)، فقال: (وأنا والله).

قلت: (وأشتهي أن أعانقك وأقبلك)، قال: (وأنا والله).

قلت: (فما يمنعك؟ فوالله إن الموضع لخال).

قال: (يمعني قول الله عزّ وجلّ: (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلاّ المتقين)، فأكره أن تحول مودتي لك عداوة يوم القيامة). ص 77.

وفي الباب الثالث المعنون بـ: التأليف العاطفي عند الفقهاء، عرض الباحث لمعظم الكتب الإسلامية التي شغلت بالحب ومظاهره، وقسم تلك المؤلفات قسمين: الأول: المؤلفات التي خصّصت للحب من دون غيره، وقد وضعها تحت عنوان: الريادة والتخصص، وذكر منها كتاب (الزهرة) للإمام ابن داود الظاهري، وكتاب (طوق الحمامة) لابن حزم الأندلسي. والقسم الثاني: المؤلفات الموسوعية التي تحدّثت عن ظاهرة الحب وغيره من الموضوعات التاريخية والحكاية والاجتماعية والأدبية، وقد وضعها تحت عنوان: بين التبعية والموسوعية، وهذه الكتب هي: عيون الأخبار لابن قتيبة، وفي محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني، ومصارع العشاق لابن السراج، وإحياء علوم الدين للغزالي، وذمّ الهوى لابن الجوزي، وروضة المحبين لابن قيم الجوزية.

وقد تناول الباحث كل مؤلف من المؤلفات السابقة بالعرض والتحليل لما فيها من قضايا الحب ومظاهره، وأنهى كل عرض بخلاصة مركزة لكل مؤلف على حدة. ومن طرائف ما روي في كتاب ذمّ الهوى للإمام ابن الجوزي أنه: (تزوج امرأة اسمها (نسيم الصبا)، فأقام معها مدة، ثم وقعت بينهما وحشة ففارقها، فاشتدّ بها كلفه، وزاد غرامه فراسلها، فأبت عليه، وطال بينهما الأمر (...). وحضرت وعظه يوماً فلاحت منها نظرة فرأها وقد استترت بجاريتين، فتنفس الصعداء وأنشد:

أيا جبلي نعمان بالله خلياً سبيل الصبا يخلص إليّ نسيمها
أجد بردها أو تشفّ مني حرارة على كبد لم يبق إلا صميمها
فإنّ الصبا ريح إذا ما تنسّمت على نفس مهموم تجلّت همومها

فاستحييت ثم ذهبت وقد داخلها الرقة له، فحكّت لبعض النساء فمضين فأخبرنه فراسلها فأجابت فتزوج بها). ص 156.

و يعلّق الباحث على ذلك بقوله: (فصاحب ذمّ الهوى يقحم في سياق وعظه أبياتاً بريئة الظاهر، وهي غزل صريح موجّه إلى زوجته السابقة التي تأثرت بالإخراج الدرامي للمشهد فلان قيادها بعد شماس ورقّت بعد جفاء). ص 156

وقد أنهى الباحث بكتابه خاتمة ضمّنها مجمل النتائج التي توصل إليها البحث الأكاديمي، ومن هذه النتائج: الفقهاء هم أسبق الناس لدراسة الحب باعتباره نوعاً من الدراسة للعلاقات الاجتماعية والمعاملات البشريّة وما يترتب عليها من حلال مباح أو محظور محرّم، وهنا يرى هؤلاء الفقهاء أنّ التوحد في الحب دليل الصدق والعذرية، فلن يجد الرجل سعادته إلا في حبّ امرأة واحدة، لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء، والحب عند الفقهاء عاطفة وليس انفعالا، فإذا بدأت هذه العاطفة بداية طبيعية بالاستحسان ثم ارتقت في مراتبها واحدة تلو الأخرى، فإن الحب يتمكّن من القلب، ويصبح عسيرا على الزوال، عزيزا على التغيير والاستبدال. وليس هناك ما يمنع الفقهاء من أن يتطوّر الحب الأرضي القائم على الغريزة والشهوة إلى حبّ سماوي علو على كل الغرائز والشهوات كما هو عند المتصوّفة. هذه بعض القضايا التي تطرق لها كتاب (الحب عند الفقهاء)، وقد قمت بعرضها في هذه العجالة.

إن هذا الكتاب يشكّل جهداً أكاديمياً مهماً ومنظّماً في عرضه لظاهرة الحب وتحليلها عند الفقهاء، ببواعثها وأهدافها ومفاهيمها، وقد أضاء هذا الكتاب أمام القارئ والباحث معا آفاقاً رحبة، حول هذه الظاهرة الحساسة.

و إذا كان هذا الكتاب قد درس هذه الظاهرة بكثير من الحذر والتحقّظ، فإن ذلك يعود إلى أن الباحث أزهرى النشأة والدراسة، وهو عميد كلية جامعية أزهرية، تُحرّم عليه البحث بجرأة في مثل هذا الموضوع شديد الحساسية. صحيح أنّ المؤلف جمع أخبار المحبّين والعشاق والمتيمين والشيوخ والفقهاء والقضاة العاشقين، وأشعارهم، وحلّلها تحليلاً أكاديمياً مستفيضاً، لكنّه لم يتطرق إلى كثير من حالات الحب عند الفقهاء، في حال كونها تتعلّق بالجسد والجنس.

وقد أهمل الكتاب بشكل كامل كلّ الإشارات الجنسيّة التي ذكرها الفقهاء، وسكت عن كثير من نصوصهم الواضحة في وصف جسد المحبوب والتواصل معه جنسياً. ولم يقدّم الباحث نصاً واحداً في كتابه يتحدّث بشكل صريح عن الحب الجنساني، والغزل الصريح بجسد المرأة الذي سجّله هؤلاء الفقهاء في مذكراتهم، وأخبار نساء زمانهم ورجالها، وأهمل الباحث، بطريقة قصديّة، الكتب الجريئة

التي كتبها الشيوخ والفقهاء والعلماء الأجلاء عن الحبّ والجنس الشبقي، ومن أهم هذه الكتب، وأكثرها ثراء معرفيا وجرأة علمية، كما ذكرنا سابقا: الروض العاطر في نزهة خاطر، ورجوع الشيخ إلى صباه، ونزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب، والإيضاح في علم النكاح.

وهذه الكتب لا تقلّ أهمية عن الكتب التي عرضها الباحث، بل تفوقها كثيرا من حيث شمولها وبعدها النفسي والمعرفي في خيايا الجسد، وتبدو دراستها مهمة جدا لفهم الأسباب العميقة التي دفعت هؤلاء الفقهاء والعلماء الأجلاء لتأليف هذه المخطوطات الجريئة حول مظاهر الحب والجنس، وأثرهما في النفس الإنسانية.

سعار الشبقي والجنساني في حياة ملوك ألف ليلة وليلة

وسلاطينها - دراسة نقدية في متن بعض حكايات ألف ليلة وليلة

أ. د. محمد عبد الرحمن يونس

تشكّل حكايات الحب والجنس في ألف ليلة وليلة رؤية بانورامية Panoramic view، من حيث شمولية النظرة والاتجاه، والبعد المعرفي في خبايا الجسد ونظام شهواته الجنسانية، وكذلك البعد النفسي لشخص الليالي المستلبين أمام شهواتهم المتأججة دائما، وتركز هذه الحكايات في بنية الطبقات العليا من المجتمع، وآلية سلوكها وقيمها وثقافتها الجنسية، كون هذه الطبقات هي الأكثر بحثا عن الملذات، وتوقا لتحقيقها مع نساء طبقتها، ومع بقية نساء الطبقات الأخرى، أو بتعبير آخر مع أي امرأة جميلة مثيرة جنسيا، وبغض النظر عن الطبقة التي تنتمي إليها. ونلاحظ أنّ رواة الليالي يجترئون على هذه الطبقات السلطوية الثرية، ويسخرون بها، غير هيّابين من مراكزها السياسية والاجتماعية العالية جدا. وها هو أحد الرواة يسخر بالخليفة العباسي هرون الرشيد، ويصوّر نزعتة الشهوانية Sensual Disposition، في علاقته مع زوجته السيدة زبيدة بنت جعفر المنصور، ففي ليلة من الليالي نزعت السيدة زبيدة أثوابها، ونزلت لتستحم في بحيرة جميلة، كان قد بناها لها الخليفة الرشيد في بستان جميل، وأحاطها من جهاتها كافة بالأشجار المتناسقة المتداخلة.

تقول الحكاية: (وكانت البحيرة لا تستر من يقف فيها، فجعلت تملأ الماء على بدنها، فعلم الخليفة بذلك فنزل من قصره يتجسس عليها من خلف أوراق الأشجار، فرأها عريانة وقد بان ما كان مستورا، فلما أحسّت بأمر المؤمنين خلف أوراق الأشجار وعرفت أنه رآها عريانة التفتت إليه ونظرته فاستحت منه ووضعت يدها على فرجها ففاض من بين يديها لفرط كبره وغلظه فولى من ساعته وهو يتعجب من ذلك، وينشد هذا البيت:

نظرت عيني لحيني وزكا وجدي لبيني

ولم يدر بعد ذلك ما يقول فأرسل خلف أبي نواس يحضره فلما حضر بين يديه
قال له الخليفة أنشدني شعرا في أوله:

نظرت عيني لحيني وزكا وجدي لبيني
فقال أبو نواس سمعا وطاعة وارتجل في أقرب اللحظات، وأنشد هذه الأبيات:

نظرت عيني لحيني

وزكا وجدي لبيني

من غزال قد سباني

تحت ظلّ الدرتين

سكب الماء عليه

بأباريق اللجين

نظرتني سترته

فاض من بين اليدين

ليتني كنت عليه

ساعة أو ساعتين

فتبسّم أمير المؤمنين من كلامه، وأحسن إليه، وانصرف من عنده مسرورا¹.
أثرت أن أطيل الاقتباس السابق مستشهدا بثلاث الحكاية تقريبا حتى تتضح
أحداثها.

إنّ متلقي هذا النص الحكائي narrative text يمكن أن يتساءل مجموعة من
الأسئلة منها: بما أنّ الخليفة الرشيد غارق في أجساد الجوّاري والحرائر
والوصيفات المثيرات والتميزات جماليا، فلماذا يتجسس على جسد امرأة وسط
النهار، وبخاصة أنه جسد أقرب الناس إليه - زوجته؟ ولماذا لم يكتشف غلط فرجها
وكبره إلا وهي تستحم في هذه البحيرة، وفي النهار، مع العلم أنّه يستطيع
مشاهدتها عارية متى يشاء، وأنّى يشاء؟ ويستطيع أن يظأ فرجها متى يشاء؟

يصل خطاب السخرية sarcasm discourse في ليالي ألف ليلة وليلة
بالشخصية إلى أعلى مداه، إذ يصورها أنها شخصية محمومة مهووسة بالجنس
يقتلعها سعار جنسي مزمن، فتنهار أمام سطوة الجسد، وتفقد قدراتها على الأناة
والصبر والاتزان العاطفي والجنسي في التعامل معه. فالخليفة الرشيد يقتنص
الفرصة ليستمتع بجماليات جسد زوجته، وهي عارية. وهذا الاستمتاع لا يتم في
الحكاية إلا من خلال فعل اللوصية والاختلاس والزنى المشهدي البصري. مع

¹ ألف ليلة وليلة، المكتبة الشعبية للطباعة والنشر، بيروت، دون تاريخ، المجلد الثاني، ص 410.

ملاحظة أن ظاهرة التلصص على الأجساد النسائية في ألف ليلة وليلة تشكل نسقا حكايا مهما، وبنية نفسية، وتوقا شهوانيا يتكرر في غير حكاية من حكايات الليالي، وبخاصة تلك الليالي التي تدور أحداثها في المجتمعات العباسية.

إن ظاهرة التلصص على النساء، والمتعة البصرية المشهدة التي تتزامن مع هذا التلصص مقرونة بتموضع الشخص داخل الحياة السياسية، وفي أوساط الطبقات الثرية جدا؛ إذ يتوالد البصّاصون police-informers وحراس النظام السياسي في هذه الحياة، وتكثر عملية البصّ والتجسس، ويتورط فيها الكبار والصغار في قصور السلطة ومريديها، بحيث تظهر لنا ليالي ألف ليلة وليلة أن العلاقات السياسية والاجتماعية والتجارية والجنسية محكومة بالمراقبة السرية الدائمة، وها هو الخليفة الرشيد يلجأ إلى الاختلاس البصري لجسد زوجته، ليرضي شغف نزعة البص الكامنة في أعماقه، وعملية البص هنا تتحدد في ما يمكن أن نسميه: الزنى البصري المشهدي، فكما الجسد يزني، فإن العين هي الأخرى تزني عندما تتأمل الجسد الأنثوي، وتشتهيه من خلال رؤية شبقية جنسانية. ويرى رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، أنه إذا كان فرج بني آدم حظ من الزنا، فالعينان تزنيان وزناهما النظر، واليدان تزنيان وزناهما البطش، والرجلان تزنيان وزناهما المشي، والفم يزني وزناه القبل، والقلب يهوى ويتمنى، والفرج يصدّق ذلك أو يكذّبه¹. وروي عنه أنه (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) قال: (العينان تزنيان واللسان يزني، واليدان تزنيان، والرجلان تزنيان يُحقّ ذلك الفرج أو يكفر به)²

وسنلاحظ في حكاية أخرى من حكايات ألف ليلة وليلة أنّ نديم الخليفة الرشيد، وهو علي بن منصور الخليع الدمشقي، يختلس النظر إلى جارية جميلة، بعد أن يدنو من باب منزلها، ويرفع الستر الذي يحجبها. وها هو يصف لنا متعة الاختلاس البصري، وهو يتجسس على هذه الجارية، ويشتهيها: (ثمّ دنوت من الباب وطفقت أرفع الستر قليلا قليلا، وإذا بجارية بيضاء كأنها البدر إذا بدر في ليلة أربعة عشر، بحاجبين مقرونين وجفنين ناعسين، ونهدين كرمانتين، ولها شفتان رقيقتان كأنهما أقحوانتان، وفم كأنه خاتم سليمان يلعب بعقل الناظم والناثر، كما قال فيه الشاعر:

¹ رواه البخاري (2475)، (5578)،

² رواه البخاري (2475)، (5578)،

إن أقبلت قتلت وإن هي أدبرت
جعلت جميع الناس من عشاقها
شمسية بدرية لكتّها ليس
الجفا والصدّ من أخلاقها

فبينما أنا أنظر إليها من خلال الستارة، وإذا هي التفتت فرأيتني واقفا على الباب، فقالت لجاتها: انظري من الباب. فقامت الجارية، وأنت إليّ وقالت: يا شيخ أليس عندك حياء، وهل شيب وعيب؟ فقلت لها: يا سيدتي أمّا الشيب فقد عرفناه وأمّا العيب فما أظنّ أني أتيت بمعيب. فقالت سيدتها: وأيّ عيب أكثر من وقوفك عند دار غير دارك ونظرك حريما غير حريمك؟¹

إنّ الأسباب العميقة الكامنة وراء عملية التجسس التي يقوم بها الخليفة الرشيد، لا يمكن فهمها وتفسيرها تفسيراً عميقاً، وبخاصة أنّ المرأة التي يتجسس عليها هي زوجته. ويبدو أن الليل كفضاء زمني time space مظلم يحجب بعض أجزاء جسد السيدة زبيدة عن مرأى الخليفة، فتأتي لذة التجسس في النهار، باعتباره فضاء ظاهراً ومكتشوفاً، وقادراً على كشف أدقّ معالم جسد السيدة زبيدة وخصوصياته. وتبدو هذه الحكاية في بعض تفاصيلها مفتعلة أو مؤدلجة لتسخر بالخليفة الرشيد، وبالتالي ببنية النظام السياسي العباسي في قمة هرمه السلطوي؛ مفتعلة لا في ظاهرة التلصص والتجسس، فالتجسس ظاهرة طبيعيّة ومهمّة في النظام العباسي، بل في أن الخليفة شاهد فرجا كبيرا وغلظاً لأول مرة، مع العلم أنّه وطأه سابقاً، ويطؤه باستمرار. ولو كان الخليفة محروماً من الجسد الأنثوي لكان طبيعياً أن يتجسس عليه، ولو لم يكن قد خبره سابقاً لكان طبيعياً أن يستمرئ في كشف خباياه الحساسة، غير أنه من بين أهداف الحكاية الرئيسية هو أن يسخر الراوي المعادي لنظام الدولة العباسية بخليفة هذه الدولة ورأسها، الذي تتركز جلّ اهتماماته في الجنس وإشباع نزواته الجنسية الشهوانيّة.

وتشير الأدبيات الكلاسيكية التاريخية historical classical letters إلى أن الخليفة الرشيد لم يكن كلفاً بزوجه الجميلة والمثيرة زبيدة فحسب، بل كان يشتهي أيّ امرأة جميلة مثيرة يشاهدها ويتعرف بها، فقد كان ولعاً بجواريه وجواري غيره، وكان يعمل جاهداً للحصول عليهن، ومهما كلفه ذلك. ويروي الأصمعي عنه الحادثة التالية:

¹ ألف ليلة وليلة، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة العاشرة 2004م، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص 49.

(كان الرشيد شديد الحب لهيلانة، وكانت قبله ليحيى بن خالد، فدخل يوما إلى يحيى قبل الخلافة، فلقيته في ممر فأخذت بكمه، فقالت: نحن لا يصيبنا منك يوم؟ فقال لها بلى، فكيف السبيل إلى ذلك؟ قالت تأخذني من هذا الشيخ، فقال ليحيى: أحب أن تهب لي فلانة، فوهبها له حتى غلبت عليه، وكانت تكثر أن تقول: هي الآنة، فسامها هيلانة، فأقامت عنده ثلاث سنين، ثم ماتت، فوجد عليها وجدا شديدا، وأنشد:

قد قلت لما ضمّوك الثرى
وجالت الحسرة في صدري
أذهب فو الله ما سرنى ب
عدك شيء آخر الدهر

(...)

وحدّثنا الغلابي، وقال: حدّثنا محمد بن عبد الرحمن، قال: لما توفيت هيلانة جارية الرشيد، أمر العباس بن الأحنف أن يرثيها، فقال:

يا من تباشرت القلوب بموتها
قصد الزمان مساءتي فرماك
أبغى الأنيس فلا أرى لي مؤنسا
إلا التردد حيث كنت أراك
ملك بكاك وطال بعدك حزنه
لو يستطيع بملكه لفداك
يحمي الفؤاد عن النساء حفيظة
كيلا يحلّ حمى الفؤاد سواك

فأمر له بأربعين ألف درهم، لكلّ بيت عشرة آلاف درهم، وقال: لو زدتنا لزدناك¹

وحتّى يكتمل خطاب السخرية ببنية الحياة السياسية العبّاسية، وبالأشخاص المقرّبين منها، يدفع الراوي الخليفة الرشيد لأن يسرد لنديمه أي نواس (الحسن بن هانئ)، كيف أنّه تلصص على جسد زوجته، وما إن يروي الخليفة لنديمه أبي نواس حكايته، حتى نجد أنّ هذا الأخير قد أنشد شعرا تمّنى فيه أن يحتوي جسد

¹ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ت 597 هـ: دَمّ الهوى، ضبط نصوصه وأخرج أحاديثه: حلمي بن إسماعيل الرشيدى، دار العقيدة، القاهرة، الطبعة الأولى 1425 هـ/ 2004م، ص 561.

زبيدة لساعة أو ساعتين، فيصبح الجسد حلما ساحرا في السرد الحكائي، ولا سيما أن مكن إثارته الرئيس كبير وغلظ.

ويبدو أن إعجاب الرشيد بفرج زوجته الكبير والغلظ، يعود إلى خلفيات مرجعية جنسانية ترى أن جسد المرأة الممتلئ بالشحم واللحم يكون أكثر قدرة على الإمتاع والإثارة الجنسيّة، وبالتالي الدفع بهذه الإثارة إلى أعلى درجات تحققها وأكملها. إذ تركّز هذه الخلفيات والأدبيات الكلاسيكية على أهمية الجسد المرربب 'fleshy body' الممتلئ شحما ولحما، وقدرته على تحفيز المتعة الجنسيّة، وإنعاضها. فقد ورد في بعض هذه الأدبيات:

قال مصعب بن الزبير: (النساء فرش فأطيبها أوثرها). وكان يقول: (استأثروا في فرشكم). وقال ابن شبرمة: (ما رأيت لباسا على رجل أزين من فصاحة، ولا رأيت لباسا على امرأة أزين من شحم).

وقال الأصمعي: (سئل امرؤ القيس: ما أطيب لذات الدنيا؟ قال: بيضاء رعبوبة¹، بالحسن مسكوبة، بالشحم مكروبة، بالطيب مشبوبة)²

إنّ هذه الرؤية الشهوانيّة الشبقية المتأججة لدى الرجال والنساء في مجتمعات ألف ليلة وليلة الطبقيّة هي محور رئيس تدور حوله معظم حكايات ألف ليلة وليلة، ويؤسس عليه معظم شخوص الليالي علاقاتهم الاجتماعية والسياسية أحيانا.

إنّ الجسد الأنثوي، وبخاصة إذا كان جميلا ومثيرا يشكّل وليمة فاخرة يتهافت عليها الرجال، ويتصارعون، والقوي سياسيا ونفوذا ماليا هو الذي يفتتح أكبر جزء من هذه الوليمة. وداخل حقل الصراع، لاكتساب أكبر قدر من المال والنساء والسطوة، تغيب طمأنينة النساء الروحيّة في ألف ليلة وليلة، لأنّهن يتحولن إلى سلع مثيرة، وقيمتهنّ العليا تتركّز في مدى قدراتهنّ على إغراق الرجال في أجواء المسرّات وطقوس الجنس العربيّة، وما يرافقها من طعام وشراب فاخرين، وطور نفيسة، وطاقس من الحرير والأبّهة، تقام في مقصورات سحريّة مفعمة بعبق الشهوة والإثارة.

وتتنتهي الحكاية بأمنيات أبي نواس بالرقود على جسد السيدة زبيدة ساعة أو ساعتين من خلال شعر ينضح شهوة وشبقا eroticism وجنسا. والرشيد بدوره يستلذّ بهذا الشعر لأنّ نديمه أبا نواس جعل من الجسد فضاء للغزل والجمال والاستمتاع، والمتعة البصرية، والاشتهاء الجنسي، إذ حرك كوامن الخليفة

¹ بيضاء رعبوبة: حسنة، رطبة.

² عن / محمد بن أحمد التجاني: تحفة العروس ومتعة النفوس، تحقيق: د. جليل العطية، دار رياض الريس للكتاب والنشر، لندن، قبرص، الطبعة الأولى، حزيران/ يونيو 1992م، ص 213 - 214.

الجنسية والشبقية، فما كان من الخليفة إلا وأن كافاً أبا نواس، وأحسن إليه، وما غضب منه لأنه اشتهى جسد زوجته زبيدة على مستوى الحلم والتخيل.
ليتني كنت عليه ساعة أو ساعتين

2 - حكاية السقاء وزوجة الرجل الصانع

الحكاية من خلاله، وتزداد الشخصيات فاعلية في نمو السرد وتشعبه، وبخاصة في حكايات الحب والجنس والرقص والعريضة، والشذوذ الجنسي، وفضاءات الحريم السرية *Clandestine womanly sessions*، فإن بعض رواة الليالي يسردون عن بعض النماذج الاجتماعية القليلة التي قلما تسقط في فضاء الرذيلة والتهتك الجنسي، وذلك لانتماءاتها الروحية العميقة إلى القيم الجمالية الدينية، ببعدها الإنساني والأخلاقي.

تبتدئ الحكاية بالوحدة السردية التالية: (ومما يحكى أنه كان بمدينة بخارى رجل سقاء يحمل الماء إلى دار صانع ومضى له على ذلك الحالة ثلاثون سنة، وكان لذلك الصانع زوجة في غاية الحسن والجمال والبهاء والكمال موصوفة بالديانة والحفظ والصيانة فجاء السقاء على عادته يوماً وصب الماء في الحباب، وكانت هي واقفة في وسط الدار فدنا منها السقاء وأخذ بيدها وفركها وعصرها ثم مضى)¹

وتحاول المرأة الصالحة أن تفهم بنية الدوافع العميقة التي صدر عنها فعل السقاء، وجعلته يتحرش بها، ويشتهيها جنسياً من خلال تحسسه ليدها وعصرها. فهو منذ ثلاثين عاماً يجلب لها الماء، وما صدر عنه أي فعل شأن يمس كرامتها، وحصانتها كونها زوجة، ومشهود لها بالديانة والحفظ والصيانة، وها هو اليوم يشتهي جسدها، ومن خلال عصر يدها وفركها فركاً وظائفاً يشير إلى رغبته بوصالها. وانطلاقاً من رؤية إيمانية متزامنة مع ديانة وصيانة حافظة تمنعها من السقوط في مهاوي الفساد. تحس المرأة أنّ زوجها ارتكب منكراً في سوق الصاغة، وها هو الله سبحانه وتعالى يعاقب هذا الزوج، وذلك بأن وضع في طريقها هذا الرجل السقاء، وجعله يجترئ عليها، ويتحسس يدها بشهوة.

وتسأل المرأة الصالحة زوجها الصانع عما ارتكب من مآثم في سوق الصاغة، وينفي الرجل مؤكداً أنه لم يفعل شيئاً يغضب الله سبحانه وتعالى، فتصر عليه أن يعترف بما جناه، وتؤكد له أنها لن تبقى معه تحت سقف واحد، ولن يراها بعد

¹ ألف ليلة وليلة، طبعة المكتبة الشعبية للطباعة والنشر، دون تاريخ، بيروت، المجلد الثاني، ص 338.

الآن، ولن تراه، إن لم يصدقها القول، فقلب المؤمن دليله، وقلبها يؤكد يؤكد لها أن زوجها ليس بريئاً، وأمام إصرارها يعترف الرجل بما اقترفه قائلاً:
(اتَّفَق لي أنني جالس في الدكان على عادتي إذ جاءت امرأة إلى دكاني وأمرتني أن أصوغ صواغا فصنعت لها سوارا من ذهب فدفعته فلما حضرت أتيتها به فأخرجت ووضع السوار في ساعدها فتحيرت من بياض يدها وحسن زندها الذي يسبي الناظر وتذكّرت قول الشاعر:

فكأنما والتبر محتاط بها

ماء تمنطق معجب بالنار

فأخذت يدها وعصرتها ولويتها فقالت له المرأة الله أكبر لم فعلت هذا الجرم؟ إن ذلك الرجل السقاء الذي كان يدخل بيتنا منذ ثلاثين سنة ولم نر منه خيانة أخذ اليوم يدي وعصرها ولواها فقال الرجل نسأل الله الأمان أيتها المرأة إنني تائب مما كان مني فاستغفري الله لي¹

تبدو الحكاية طبيعية في نسقها الديني، ورؤيتها الإيمانية العميقة، فالمؤمن بالله سبحانه وتعالى لديه قناعة تامة مفادها أنه إذا أساء إلى رجل، فإن الله سيعاقبه برجل آخر يقتص منه جزاء إساءته، وعقابا له لأنه أضرب بغيره، وأساء إليه، انطلاقا مفاهيم الجزاء والعقاب في الفكر الإسلامي.

وهذا التفكير الإيماني الغيبي قائم عند كثير من الشعوب العربية والفارسية والهندية، وفي الديانتين البوذية والكونفوشوسية، وعند بعض الشخصيات الأوروبية. فالحكاية - وعلى الرغم - من إيديولوجيتها الإيمانية dogmatic ideology، فإنها تتخذ منحى أسطوريا، يبعدها عن الواقع في بعض خصائصه ليصبح الواقع جزءا من التخيل. وهذه إحدى خصائص الأدب الشعبي في بنيته. وحكايات ألف ليلة وليلة جزء مهم منه. ففي معظم الليالي، وحتى في الليالي التي تركز على خطاب الجنس ودوره الرئيس في الحياة الاجتماعية، يمتزج الخيال بالواقع، والتاريخ بالخرافة، وبالأحلام.

ثمّة أسئلة تطرح نفسها: كيف يتزامن فعل الإساءة والجزاء في وقت واحد؟ وكيف يتزامن العقاب الإلهي الإيماني الذي حلّ بكلّ من الرجل الصانع وزوجته في الوقت نفسه؟ الصانع الذي أخذ يد المرأة التي أتته في السوق وعصرها ولواها، بعد أن اشتهاها جنسيا، وزوجته التي اجترأ عليها السقاء، وفرك يدها وعصرها، ولم يمنعه من ذلك صلاحها وتقاهها وكونها سيدة موصوفة بالديانة والصيانة

¹ نفسه، ص 338 - 339.

والحفظ، وذلك في فضاء زمني قصير جدا؟ وما السبب الذي جعل زوجة الصانع تعرف أنّ زوجها ارتكب منكرا، بعد أن تعرّض لامرأة أخرى؟ ولنفترض أنّ شهرزاد حوّلت مجرى السرد والحدث الحكائي، وجعلت الرجل الصانع يستطيع إغواء المرأة الجميلة المثيرة بالقدرات الجماليّة الجنسيّة، وبالتالي يصل إلى جسدها جنسيا، فهل سيجعل الرجل السقاء يستطيع أن يغوي المرأة الجميلة الصالحة، صاحبة الديانة والحفظ، ويصل إليها جنسيا، انطلاقا من رؤية الجزاء والعقاب الإيمانية؟

إنّ منطق الحكاية السردية يؤكّد إمكانية أن يصل السقاء إلى جسد المرأة الصالحة، تأسيسا على مقولة العدل في الجزاء والعقاب: (دقّة بدقّة) (tit for tat) ولو زادت لزاد السقاء) على حدّ تعبير الراوي¹، على الرغم من صلاح المرأة وإيمانها، وفق الرؤية الإيمانية.

وسنلاحظ أنّ المرأة الصالحة لم تسحب يدها من يد الصانع، عندما فركها وعصرها، ولم تؤنّب على موقفه، بل هي بررت لنفسها وللسقاء فعله المنكر هذا، وأكّدت لزوجها أنّه لو زاد في غواية المرأة التي أتته إلى محلّ صياغته، لزاد السقاء في غوايتها، ولأمكن أن يصل إليها جنسيا، في حال وصول زوجها إلى المرأة الجميلة التي أتته لتصوغ سوار الذهب. ويمكن أن يتساءل القارئ أيضا: إذا كانت المرأة الجميلة صاحبة السواعد البهيّة، التي تتراد الأسواق، لا تستقبح فعل الصانع، ولا تستهجنه لأنه عصر يدها، ولواها اشتهاه، وإذا كان الخطاب السردية لا يضعها في بؤرة الصلاح والحفظ والديانة، فلماذا لم يحفظ هذا الخطاب المرأة الصالحة، ويمنع عنها الرجل السقاء، على الرغم من صلاحها؟ وما ذنب هذه المرأة الصالحة حتى يقتصّ الخطاب السردية منها، ويعاقبها على منكر قام به زوجها، وذلك بأن جعل السقاء الذي هو أدنى منها منزلة اجتماعية وطبقية يجترئ عليها، ويخرق عفافها وحصانتها؟ وتجدر الإشارة إلى أن طبقة السقائين هي طبقة مردولة Layer Despised في المدينة العربية الإسلامية، ومنها بطبيعة الحال مدن ألف ليلة وليلة.

وهنا تبرز أهمية الرؤية الإيمانية التي لا تخلو من رؤية حلميّة تخليّة تطمح إلى معاقبة الرجل المسيء، في نفسه أو في أهله. ونلاحظ أنّ الأدبيات الكلاسيكية الإسلامية أكّدت هذه الرؤية، وحثّت عليها، واعتبرتها نوعا من العدالة، والقصاص الإلهي. فقد ورد في هذه الأدبيات:

¹ نفسه، ص 339.

(حدّثنا الأصمعي عن المعتمر بن سليمان، عن أبيه قال: إنّ الرجل ليصيب الذنب في السرّ فيصبح، وعليه مذلة¹. و(قال أبو سليمان الداراني من صفّى صفي له، ومن كدّر كدّر عليه، ومن أحسن في ليله كوفئ في نهاره، ومن أحسن في نهاره كوفئ في ليله)². و: (حدّثنا الأصمعي عن أبيه، قال: كان شيخ يدور على المجالس، ويقول: من سرّه أن تدوم له العافية فليتّق الله عزّ وجلّ، فمتى رأيت، وفكّك الله، تكديرا في حال، فتذكّر ذنبا قد وقع، فقد قال الفضيل بن عياض: إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق دابتي، وجاريتي)³.

مع ملاحظة أن شهرزاد لا تستحضر هذه الرؤية الإيمانية، ولا تؤكّد عليها وهي تروي للسلطة السياسية الباطشة والمستبدة في ألف ليلة وليلة، لأنّ هذه السلطة تمارس أبشع أنواع الجرائم من قتل وبطش وزنى واغتصاب ودعارة، وشرب للخمر، لكنّ شهرزاد تمهلها حتى يأتي أجلها، وتموت موتا طبيعيا بانتهاء آجالها، وليس بما اقترفته من ذنوب، أو بما مارسته من بطش واستبداد، وهي تؤجل عقوبتها إلى وقت طويل، لأنّها معنيّة بالدرجة الأولى في تأجيل فعل قتلها هي، ولا يهتمّها ما يحدث للطبقات الدونيّة من أذى واستلاب جرّاء فعل السلطة الاستبدادي، أمّا عندما تحضر الطبقات الدونيّة من قاع المجتمع، فإنّ رواة الليالي سرعان ما يقتصّون من هذه الطبقات، عندما يرتكبون أي جريمة، أو عندما يقومون بأيّ فعل تحريضي ضدّ أيّ سلطان أو وزير من سلاطين ألف ليلة وليلة، ووزرائها ومستبديها، غير أنّ ذلك لا يمنع بعض رواة الليالي من الغمز بأخلاق السلطة الفاسدة، والسخرية بها في بعض الحكايات.

3 - حكاية الملك الذي ذهب مستخفيا إلى إحدى القرى

تبتدئ الحكاية بالوحدة السرديّة التالية: (وحكي أن ملكا من الملوك خرج مستخفيا ليطلع على أحوال رعيته فوصل إلى قرية عظيمة فدخلها منفردا وقد عطش فوقف بباب دار من دور القرية وطلب ماء، فخرجت إليه امرأة جميلة بكوز ماء فناولته إياه فشرب. فلما نظر إليها افتتن بها فراودها عن نفسها. وكانت المرأة عارفة به فدخلت به بيتها وأجلسته وأخرجت له كتابا وقالت انظر في هذا الكتاب إلى أن أصلح أمري وأرجع إليك، فجلس يطالع في الكتاب وإذ فيه الزجر عن الزنا

¹ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي: ذمّ الهوى، ص 167.

² نفسه، ص 169.

³ ألف ليلة وليلة، المجلد الثاني، ص 349.

وما أعدّه الله لأهله من العذاب فاقشعرّ جلده وتاب إلى الله وصاح عليّ بالمرأة وأعطاهما الكتاب وذهب)¹.

وعندما يرجع زوج المرأة الذي كان غائبا عن منزله، تروي له زوجته الحادثة، فيرتعد خوفا من سطوة الملك، ويمتنع عن معاشرتها جنسيا، باعتبارها قد دخلت في دائرة اشتهاؤ الملك وإعجابه، وعندما تحسّ بفوران طاقاتها الجنسيّة، وأنها بحاجة إلى إروائها - بعد أن هجرها زوجها نهائيا - تذهب شاكية إلى أهلها لتحكي ما جرى لها مع الملك ومع زوجها، فيذهبون إلى الملك يشكون إليه زوجها الذي رفض معاشرته ابنتهم، وتركها أرضا بوارا. عندها يستدعي الملك زوجها، ويسأله: (ما الذي يمنعك من زرع أرضك؟). فقال الرجل: (أعزّ الله الملك أنّه قد بلغني أنّ الأسد قد دخل الأرض فهبته ولم أقدر على الدنو منه لعلمي أنّه لا طاقة لي بالأسد).

وسرعان ما يتذكّر الملك قصّته مع المرأة الجميلة التي راودها عن نفسها، ويعرف أنّ الرجل زوجها خائف منه، ولا يستطيع الاقتراب من زوجته لخوفه منه، فيؤكد له الملك أنّه لن يقترب من هذه الزوجة قائلا: (يا هذا إنّ أرضك لم يطأها الأسد وأرضك طيبة الزرع فازرعها بارك الله فيها فإنّ الأسد لن يعدو عليها! ثمّ أمر له ولزوجته بصلة حسنة وصرفهم)³.

تشير الحكاية إلى مدى بطش السلطة السياسية في ألف ليلة وليلة، ونفوذها، ومدى خوف الناس منها، وإلى أيّ مدى كانت قادرة على خرق المحرّمات وتجاوزها Breach taboos and Override، وجرأتها في الاعتداء على حرّيات الناس، فالملك الذي يشاهد امرأة جميلة سرعان ما تفور شهوته الجنسيّة، ويراودها عن نفسها. وإذا كان هذا الملك في هذه الحكاية يعفّف عن المرأة الجميلة، نظرا لوجود خلفيّة معرفية تُقدّم له، وتؤكد أنّ عاقبة الزنى وخيمة، وقد أعدّ الله لمرتكبيها عذابا شديدا، فإنّ الحالة هذه نادرة في الليالي ولا يقاس عليها، إذ إنّ ملوك الليالي وسلاطينها وأمراءها - كما تصوّروهم الحكايات - شهوانيون، شبقون، يغتصبون النساء، ويطؤون أيّ امرأة جميلة ومثيرة، سواء شاءت أم أبّت. فهم يتزوّجون النساء غصبا وإكراها، وإن لم ترض هاته النسوة فإنّهم يلجأون إلى اغتصابهن بوضع مادة مخدّرة في كؤوس شرابهن، مثل الملك عمر النعمان على سبيل

¹ المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

² نفسه، ص 349.

³ نفسه، ص 349.

المثال، وملوك آخرين. وهم يزنون بالنساء الجميلات، ويزينون لهن دروب الخطيئة، ويغووهن، ويغدقون عليهن الأموال والهدايا الكثيرة، عندها تتطامن هاته النسوة أمام هؤلاء الملوك، وتعربد وترقص، وتكرع دنان الخمر، غير هياتبات ولا وجلات، لا من محرّمات دينية ولا اجتماعية ولا سياسية، لأنّ رأس السلطة السياسية هو الذي يخرق كلّ هذه المحرّمات، ويطوّعها لصالحه، وهو الذي يزيّن لهنّ دروب الخطيئة، ومن لم ترض بذلك فإنها قد تُقتل أو تنفى، غير أنّ النساء اللواتي يرفضن إغواء السلطان وإغراءاته في ألف ليلة وليلة نادرات جدا، ولا يشكّلن ظاهرة مهمّة في بنية السرد الحكائي، فالنساء الزواني في ألف ليلة وليلة هنّ الأصل، وهن اللواتي يملأن القصور والأسواق، والحوانيت ومنازل الطبقات الثرية من تجار وغيرهم، وهنّ من أكثر النساء مهارة في حبك المكاييد لاصطياد الرجال¹. وعموما فإنّ الرجال الذين يخافون الله، ويرتدعون عن الزنى في حكايات ألف ليلة وليلة هم قلائل جدا، وقليل منهم من يستطيع مقاومة إغراء هاته النسوة المثيرات جنسيا وجماليا.

إنّ الزنى في رأي فقهاء الأمة الإسلامية وعقلائها وعبّادها فساد لأخلاق هذه الأمة، وهدم لصلاحها واستقامتها، لأنّ (المرأة إذا زنت أدخلت العار على أهلها وزوجها وأقاربها، ونكّست رؤوسهم بين الناس، وإن حملت من الزنى، فإنّ قتلت ولدها جمعت بين الزنى والقتل، وإن حملته على الزوج أدخلت على أهله وأهلها أجنيا ليس منهم، فورثهم، وليس منهم، ورأهم وخلا بهم وانتسب إليهم وليس منهم، إلى غير ذلك من مفاصد زناها، وأمّا زنى الرجل فإنّه يوجب اختلاط الأنساب *intermixing of genealogical lines* أيضا، وإفساد المرأة المصونة، وتعريضها للتلف والفساد، وفي هذه الكبيرة خراب الدنيا والدين، فكم في الزنى في استحلال الحرّات، وفوات حقوق، ووقوع مظالم؟². غير أنّ حكام ألف ليلة وليلة وسلاطينها، لا يهمهم إن كانت أمهم صالحة أو فاسدة، ولا تعني لهم أخلاق الأمة شيئا، لأنّ ما يهمهم - بالدرجة الأولى - إشباع نزواتهم الشبقية، وبناء القصور

¹ سبق وأن درست هذه الظاهرة دراسة طويلة بعنوان: نساء القصر في ألف ليلة وليلة، منشورة في مجلة الكتب وجهات نظر، الشركة المصرية للنشر العربي والدولي، القاهرة، العدد الواحد والتسعون، أغسطس 2006م، السنة الثامنة، ص 49.

² محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي (ابن قيم الجوزية)، (691 - 751 هـ): الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، قدّم له وعلق عليه: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2005 م، ص 240.

والبساتين، واختلاس خيرات الأمة ومواردها، ولذا فهم يرتكبون الزنى، ولا يرفق لهم جفن ندم، ولا ذرة من تائب ضمير.

والملك في الحكاية - التي بين أيدينا - يشاهد امرأة جميلة مثيرة، ثم سرعان ما يطلب تواصلًا جنسيًا بها، وراوي الحكاية يدفع المرأة لتلبية رغبة هذا الملك، خوفًا وهيبة منه، فما كان منها إلا أن قدمت له كتابًا يدين الزنى، وطلبت منه أن يمهلها حتى تجهز نفسها استعدادًا للفعل الجنسي. وقد يتساءل القارئ: لنفترض أن الملك لم يرتد عن غيه وضلاله، ولم يقتنع بما جاء في هذا الكتاب، فماذا كانت المرأة فاعلة؟ هل ستقدم له جسدها؟ إن نظام ألف ليلة وليلة المعرفي، بينيته السردية، يؤكد أنها كانت ستتمكن من جسدها، في حال عدم اقتناعه بما جاء في الكتاب، فالمرأة تعرف الملك، وهو لا يعرفها، ومن هنا فقد كان أمامها غير خيار تستطيع من خلاله أن ترفض طلبه، لأنه يتضمن عملية زنى محرمة شرعًا وأخلاقًا، كأن تتجاهله، وترفض طلبه بأدب أو بجرأة، طالما هو لا يعرفها، أمّا وأن تدعوه إلى المنزل، وتطلب منه أن ينتظر ريثما تنزّين له، وبخاصة أنها تعرف مسبقًا أنه لا يعلم إذا كانت تعرف أنه ملك أو فرد عادي من بقية المجموع الإنساني، فذاك أمر آخر.

وربما يمكن القول إنها مستعدة ضمنا لارتكاب فعل الزنى، ولا سيما أنها أمام ملك قادر على فعل أي شيء داخل مملكته، ولو كان عكس ذلك لما طلبت منه الدخول والتريث ريثما تبدو في أبهى زينتها.

إن دلالة تقديم الكتاب الذي يدين الزنى ليس مؤشرًا كافيًا إلى نوايا المرأة الصالحة في عدم رغبتها بخيانة زوجها، ثم إنّه من السخرية بمكان أن لا يعرف ملك يحكم الأمة، ويدير شؤونها، مخاطر فعل الزنى ومفاسده، والعقوبة التي أعدها الله لمرتكبيه، وبخاصة أنه حامي حمى السلطتين *patron of two powers*: الدينية الفقهية، والسياسية، وهو الأول في هرم هذه الأمة.

وهنا يمكن القول إن كلا من الملك والمرأة مدانان، سواء ارتكبا فعل الزنى أم لم يرتكبا، فنية الزنى سابقة للفعل، ولو لا استحضار خلفية معرفية وهي الكتاب الزاجر عن الزنى، والذي يشكّل في المبنى الحكائي حافزًا ميكانيكيًا¹ أسهم في تغيير نية الملك من ممارسة فعل الزنى إلى فعل الكفّ والزجر عنه.

¹ لمزيد من الاطلاع على مفهوم الحافز الميكانيكي ينظر: بوريس توماشفسكي: "نظرية الأغراض" ضمن كتاب: نظرية المنهج الشكلي - نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة: إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدّين، الرباط، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، الطبعة الأولى 1982م، ص 184.

إن سطوة الملك وبطشه، في الفضاء الاجتماعي والسياسي، جعلت الرجل الأدنى تراتبا طبقيا، يخاف إذا ما اقترب من زوجته اقترابا جنسيا، لأن الملك - رأس هذه السلطة - رغب بها جنسيا، وراوي هذه الحكاية لا يتوانى في أن يقدم زوجة بطله الثانوي والمهمش على طبق من الورد إلى بطله الرئيس الملك، لأنه الأكثر فاعلية في حركة السرد الحكائي، ومن خلاله تُبنى الوحدات الحكائيّة الجزئية التي تشكّل المبنى الحكائي العام، ولا يتوانى هذا الراوي في أن يقنع بطله الثانوي (زوج المرأة) لأن يستكين إلى ما تريده السلطة السياسية، وبالتالي لأن يبتعد عن جسد زوجته حتى يتأكد تماما من أن الملك قد كبح جموح شهواته نحو جسد هذه الزوجة، وابتعد عنها.

وعندما يؤكّد الملك للرجل: (أن الأسد لن يعدو عليها)، فإنّ هذا الأخير تعود إليه طمأنينته النفسيّة، ويعود لأن يتصالح مع جسد زوجته، ويتواصل به تواصلًا جنسياً.

إن ظاهرة التفاوت الطبقي في مجتمعات ألف ليلة وليلة تشكل مبدأ جوهريا، يعمل رواة الليالي على تكريسه في شتى مناحي الحياة السياسية والاجتماعية، ويتجلى هذا التفاوت في القصور والأسواق التجاريّة، وجميع فضاءات ألف ليلة وليلة، وفي علاقة الرجل بالمرأة، والسلطة بالمواطن، وحتى في علاقة الرجل بنسائه اللواتي يطوّهنّ يوميا. فإذا كان هذا الرجل في هذه الحكاية ابتعد عن زوجته لرغبة الملك بها، فإنّ غانم بن أيوب الرجل الثري في حكاية أخرى ابتعد هو الآخر عن السيدة الثريّة الجميلة قوت القلوب، وما استطاع أن يرقد معها على الرغم من أنهما بقي في منزل واحد لمدة ثلاثة أشهر، وذلك لأنها حظية الخليفة الرشيد، فهو يحبّها حبا ملك عليه قلبه وروحه، وهي تبادل الحبّ نفسه، بل أكثر، لكنّه لا يستطيع الاقتراب منها على الرغم من شهوته المتأججة صوب جسدها المثير باغراءاته الشهوانيّة، وذلك لأنّها حظيّة الرشيد، فكيف له أن يجترئ على بنية المحرمات الطبقيّة التي أسستها السلطة ويخترقها، وبالتالي يضع نفسه مكان الخليفة هرون الرشيد. وما هو يصرّح أنه على الكلاب أن تبتعد عن مواطن السباع، ففي المجتمع الغابوي the jungle society الطبقي يُحظّر على الكلاب - أبناء الطبقات الفقيرة - من أن تقترب من مواطن السباع - أبناء طبقة السلطة وحاشيتها وأعوانها - تقول الحكاية: (فلما سمع غانم بن أيوب كلام قوت القلوب وتحقق أنّها حظية الخليفة تأخّر إلى ورائه خيفة من هيبه الخليفة، وجلس وحده في ناحية من المكان يعاتب نفسه ويتفكّر في أمره، وصار متحيرا في عشق التي ليس له إليها وصول. فبكى من شدّة الغرام ولوعة الوجد والهيام (ardor of love

(and affection) وصار يشكو من الزمان وماله من العدوان (...). فعند ذلك قامت إليه قوت القلوب واحتضنته وقبّلتها، وتمكّن حبّه من قلبها وباحت له بسرّها وما عندها من المحبّة، وطوّقت رقبتة بيديها وقبّلتها وهو يتمنع عنها خوفاً من الخليفة. ثمّ تحدثا ساعة من الزمان وهما غريقان في بحر محبّة بعضهما إلى أن طلع النهار، فقام غانم ولبس أثوابه وخرج إلى السوق على عادته وأخذ ما يحتاج إليه، وجاء إلى البيت فوجد قوت القلوب تبكي. فلمّا رأته سكتت عن البكاء وتبسّمت، وقالت له: أوحشتني يا محبوب قلبي، والله إن هذه الساعة التي غبت عني كأنّها عام فإني لا أقدر على فراقك وها أنا قد بيّنت لك حالي من شدّة ولعي بك، فقم الآن ودع ما كان واقض أربك مني، قال: أعوذ بالله إنّ هذا شيء لا يكون كيف يجلس الكلب في موضع السبع والذي لمولاي يحرم عليّ أن أقربه، ثمّ جذب نفسه منها وجلس في ناحية وزادت هي محبّة بامتناعها عنه¹

¹ ألف ليلة وليلة، طبعة دار الفكر العربي، المجلد الأول، ص 183.

قراءة في كتاب: الحب بين المسلمين والنصارى في التاريخ العربي .

عرض ودراسة: أ. د. محمد عبد الرحمن يونس

تأليف: عبد المعين الملوحى
الناشر: دار الكنوز الأدبية-بيروت

عرفت المجتمعات العربية الإسلامية والمسيحية، عبر تاريخها الطويل علاقات اجتماعية وإنسانية متميزة، إذ انفتح الإسلام على المسيحية وحافظ على حرمة المسيحيين، واحترم علاقاتهم وعاداتهم ومعتقداتهم، ولم يشعر المسيحيون بالخطر على معتقداتهم مع مجيء الإسلام، إذ تثبت النصوص التاريخية الكثيرة أن المسيحيين وقفوا من المسلمين موقفاً ودياً، وحموا المسلمين الذين هاجروا إلى ديارهم فراراً من المشركين من أهل مكة، ويذكر الطبري في تاريخه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه الذين تعرضوا لأذى المشركين: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن فيها ملكاً لا يظلم أحد عنده، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه.» ص 20. وقد قام النصارى بحماية المسلمين مرة أخرى في الهجرة الثانية إلى الحبشة.

وقد تعدت العلاقات الإسلامية المسيحية نطاق التعامل الاجتماعي والإنساني، والعلاقات الودية القائمة على احترام المعتقدات والآراء، لتصبح أكثر حميمية، إذ نشأت بين الرجال والنساء في المجتمعين الإسلامي والمسيحي علاقات حب قوية أدت في بعض حالاتها إلى الزواج، وكان لهذه العلاقات دور في امتزاج المجتمعين الإسلامي والمسيحي، وبالتالي دور في بنية هذين المجتمعين على المستوى الإنساني والحضاري والاجتماعي والثقافي.

ويأتي كتاب الباحث والشاعر عبد المعين الملوحى ليلقي ضوءاً على بنية العلاقات المسيحية الإسلامية، وليعرض حالات من الحب الشديد بين الرجال والنساء في هذين المجتمعين، وليقلب صفحات طويلة من كتب التراث العربي التي سجلت أخبار هذه العلاقات. وقد اعتمد الملوحى في كتابه مصادر تاريخية عديدة، استقى من خلالها هذه الأخبار، ولعل من أهم هذه المصادر:

الموشى لمحمد بن أحمد الوشاء (000-325هـ/000-937م)، وطوق الحماسة لعلي بن حزم الأندلسي، (384 - 456 هـ/984 - 1064م)، ومصارع العشاق لجعفر بن أحمد السراج البغدادي (417-500 هـ/1027-1106م)، ودمّ الهوى لعبد الرحمن بن علي (ابن الجوزي)،

(508-579هـ/1114-1201م)، وروضة العاشق لأحمد بن سليمان المتوفى سنة 635 هـ، و: منازل الأحباب ومنازة الألباب لمحمود سلمان الحلبي (-725 644 هـ/1247-1325 م)، والواضح المبين في من استشهد من العاشقين لمغلطاي بن قريح (689 - 712 هـ/1290-1361 م). وديوان الصبابة لأحمد بن يحيى بن حجلة التلمساني (735-776 هـ/1325-1375 م)، وأسواق الأشواق لإبراهيم بن عمر البقاعي (809-885 هـ/1406-1480 م)، وتزيين الأسواق في أخبار العشاق لداوود الأنطاكي (000-1008 هـ/000-1600 م)، بالإضافة إلى كتب أخرى عديدة.

في البداية يعلل الملوحى سبب اختياره لكلمة النصرى في عنوان كتابه: « الحب بين المسلمين والنصارى في التاريخ العربى » قائلاً: « المسيحيون ينتسبون إلى المسيح، والنصارى ينتسبون إلى الناصرى، إنهما اسمان لمسمى واحد، والخلاف عليهما خلاف لفظى. »، ص 6.

يقسم الملوحى كتابه إلى مقدمة طويلة تبدو أكبر من أي فصل من فصول الكتاب، وأربعة أبواب وخاتمة.

الباب الأول يضم فصولاً قصيرة، في حين نجد أن الأبواب: الثاني والثالث والرابع تتخلى عن نظام الفصول، ليصبح الفصل منها عنواناً رئيساً، يتحدث فيه المؤلف عن فكرة أو عن ظاهرة معينة.

في المقدمة يرى الملوحى أن الحب عندما يقع بين الناس تتساقط الحدود والسدود، سدود الطبقة والعرق واللون والدين ولا يبقى إلا الإنسان. ص 9. ثم ينتقل، وتأسيساً على مصادره العديدة، ليثبت بعض تعريفات الحب كما وردت في هذه المصادر، فالحب عند ابن حزم الأندلسى في كتابه: (طوق الحمامة): «أوله هزل وآخره جدّ، دقت معانيه لجلالته عن أن توصف، فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة، وليس بمنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة، إذ القلوب بيد الله عز وجلّ. » ويضيف ابن حزم قائلاً: « وقد اختلف الناس في ماهيته وقالوا وأطالوا، والذي أذهب إليه أنه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة، في أصل عنصرها الرفيع (...). ومن الدليل على هذا أيضاً أنك لا تجد اثنين يتحابان، إلا وبينهما مشاكلة واتفاق في الصفات الطبيعية، لا بدّ من هذا - وإن قلّ - وكلما كثرت الأشباه زادت المجانسة، وتأكدت المودة، فانظر هذا تراه عياناً، وقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يؤكده: «الأرواح جنود مجنّدة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف. » ص 11 - 12.

أمّا الجاحظ فإنّه يعرف الحبّ قائلاً: «هو دواء يصيب الروح ويشتمل على الجسم بالمجاورة. » ص 12.

أمّا الحبّ في معجم لاروس الكبير فيعني: «ميل القلب نحو شخص أو شيء يجذبه إليه». ص 12.

وبيضيف المعجم قائلاً: «لم ير الفلاسفة القدماء في الحبّ- بمعنى الكلمة- إلا الرغبة الجسدية، ولكن سقراط وأفلاطون وأرسطو والفلاسفة الرواقيين وبلوتارك رأوا فيه عواطف أكثر رفعة ورقة». ص 13.

أمّا أنواع الحبّ وفق تحديدات هذا المعجم فهي:

- 1- حبّ الوطن، وهو الحبّ الأول بعد حبّ الله-كما يقول فيرلين.
- 2- الميل الطبيعي أو العاطفي الذي يدعو أحد الجنسين إلى الجنس الآخر.
- 3- الحبّ الحرّ: وهو الذي لا يتقيّد بإنسان واحد، بل يجد ما يرضيه في كلّ جسد.

- 4- الحبّ اللحمي أو الشهواني: الذي لا يرى في المحبوب إلاّ الجسد واللحم.
- 5- الحبّ الصوفي: وهو الذي يتجه إلى الله بدلاً من الاتجاه إلى الأرض.
- 6- حبّ الإنسانية: وهو الذي يسمو عن المصالح الفردية والطبقية ويرتفع إلى الإنسان في كلّ مكان.

7- حبّ الذات: وهو العاطفة التي تدفعنا إلى حفظ ذاتنا وتطوّر فرديتنا، وهو في شكله السامي يحتنّا على إرضاء أكثر ميولنا غيريّة واجتماعية، وليس حبّ الذات مناقضاً لحبّ الآخرين. ص 14.

وما يهمّ كتاب الملوحى من هذه الأنواع التي حددها معجم لاروس هو تحديداً الحبّ العاطفي الجسدي الذي يصبح عشقاً لجسد المحبوب، والذي عرفه التاريخ بين المسلمين والنصارى في العهود الماضية. ومن علامات الحبّ العاطفي الجسدي تلك التي يحددها ابن حزم الأندلسي قائلاً: «وللحب علامات يقفوها الفطن، ويهتدي إليها الذكي: فأولها إيمان النظر-والعين باب النفس المشرّع (المفتوح) وهي المنقبة عن سرائرها.. فترى الناظر لا يطرف، يتنقل بتنقل المحبوب وينزوي بانزوائه، ويميل حيث مال كالحرباء مع الشمس (...). ومنها الإقبال بالحديث فما يكاد يقبل على سوى محبوبه، ولو تعمّد ذلك (...). والإنصات إلى حديثه إذا حدّث (...). وتصديقه وإن كذب، وموافقته إن ظلم، والشهادة له وإن جار، واتباعه كيف سلك (...). ومنها الإسراع بالسير نحو المكان الذي يكون فيه، والتعمد للعود بقربه، والدنو منه، والتباطؤ في المشي عند القيام عنه.» ص 14.

أمّا علامات الحبّ عند محمد بن أحمد الوشاء فتصبح: «نحول الجسم وطول السقم واصفرار اللون، وقلة النوم وخشوع النظر، وإدمان الفكر وسرعة الدموع، وإظهار الخشوع وكثرة الأنين، وإعلان الحنين، وانسكاب العبرات وتتابع الزفرات، ولا يخفى المحبّ وإن تسنّر، ولا ينكتم هواه وإن تصبّر.» ص 16. هذا وقد عرفت المصادر التاريخية والأدبية القديمة أسماء عديدة للحب منها: «الصبابة-

المقة-الوجد-الدفن-الشجو-الوصب-الكمد-الأرق والسهر-الحنين-الودّ-الخلّة-الغرام-الوله». ص17. أمّا أحمد بن يحيى بن أبي حجلة التلمساني فيحدد في كتابه: «ديوان الصباية» أهمّ أسماء الحبّ، ودرجاته، وهي:

- 1-الهوى: وهو ميل النفس.
- 2-العلاقة: وهو الحبّ الملازم للقلب.
- 3-الكلف: وهو شدّة الحبّ وأصله من الكلفة وهي المشقّة.
- 4-العشق: وهو فرط الحبّ، والعاشقة وهي اللبابة تخضّر وتصفّر وتعلق بالذي يليها من الشجر.
- 5-الشغف: وهو إصابة شغاف القلب أي حبة القلب.
- 6-الشعف (بالعين) وهو إحراق الحب للقلب.
- 7-الجوى: وهو الهوى الباطن.
- 8-التتيم: وهو أن يستعبده الحبّ.
- 9-التبتل: وهو أن يسقمه الهوى.
- 10-التدله: وهو ذهاب العقل من الهوى.
- 11-الهيام: أن يهيم على وجهه لغلبة الهوى عليه» ص16.

وفي الفصل الأول من الباب الأول الموسوم بـ: «المسلمون والصليب»، يثبت الملوحي نصوصاً تاريخية تؤكّد أن الصليب، وهو شعار المسيحية، أثار خيال الشعراء في مقطوعات شعرية كثيرة، فها هو الشاعر مدرك بن علي الشيباني يتمنى أن يكون صليباً في عنق حبيبته حتى يظل يشمّ طيبها، ويحظى بقربها. يقول:

يا ليتني كنت له صليباً

أكون منه أبدأ قريباً

أبصر حسناً وأشمّ طيباً

لا واشياً أخشى ولا رقيباً. ص27.

وهذا هو خالد بن يزيد بن معاوية يعلن استعداداه لأن يتنصّر إذا ما تنصّرت حبيبته. يقول:

فإن تسلمي نسلم وإن تتنصري

يعلّق رجال فوق أعناقهم صلباً. ص28.

أمّا الخليفة الأموي الوليد بن يزيد، فإنّه مستعدّ لأن يكون صليباً، ولو كان في ذلك دخول جهنم. يقول:

مازلت أرمقها بعيني وامق
حتى بصرت بها تقبل عودا
عود الصليب فويح نفسي من رأى
منكم صليباً مثله معبوداً؟
فسألت ربّي أن أكون مكانه
وأكون في لهب الجحيم وقوداً. ص 29.

أمّا عبد الله بن العباس بن الفضل، فإنّه لا يتوانى في أن يلثم الصليب مراراً،
إرضاءً لحبيبتة:

كم لثمت الصليب في الجيد منها
كهلال مكلل بشموس. ص 28.

أمّا في الفصل الثاني، فإنّ الملوحى يثبت خبراً تاريخياً يؤكّد أن أشخاصاً
إسلامية في التاريخ أحبّوا النصارى لأنّ أمهاتهم منهم، فهذا هو الأمير خالد بن
عبد الله القسري (66-126 هـ / 686-743 م) أمير العراقيين وأحد خطباء
العرب وأجوادهم اليماني الأصل، أحبّ النصارى لأنّ أمّه منهم، وبنى لها كنيسة
خاصّة بها. ويذكر أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني أنّ أم خالد بن عبد الله
القسري كانت «رومية نصرانية، فبنى لها كنيسة قبلة المسجد الجامع بالكوفة،
فكان إذا أراد المؤذن في المسجد أن يؤذّن ضرب لها بالناقوس، وإذا قام الخطيب
على المنبر رفع النصارى أصواتهم بقراءاتهم». ص 31.

وفي الفصل الثالث يثبت الملوحى حالات تؤكّد أنّه كان في المجتمع العربي ثمة
صداقة قوية تجمع بين المسلمين والنصارى، فهذا هو الشاعر الأموي طخيم بن أبي
الطحماء الأسدي-في زمن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك- كان يصادق
جماعة من نصارى الحيرة - من بني الحداء - وينادهم، ويتردّد عليهم ويظنّ
عندهم، ويمدحهم مشيراً إلى أرومتهم الصالحة.

كأن لم يكن يوماً بزورة صالح
ولم أرد البطحاء يمزج ماءها
بنو السمط والحداء كل سيمدع
وإني وإن كانوا نصارى أحبّهم
وبالقصر ظلّ دائم وصديق
شراب من البروقيتين عتيق*

له في العوق الصالحات عروق**
ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق. ص 34.

ومن هنا فإنّ هذا الشاعر الأمويّ هو أول من أشار إلى وجود صداقة بين الناس الذين ينتمون إلى أديان مختلفة، وذلك في العصر الأمويّ البعيد. ص 35. ويذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان، أنّ الشاعر العبّاسي عبد الله بن العبّاس بن الفضل الذي عاش في زمن الخليفة المعتصم، كان ينادم المسيحيين في دير قوطا (ناحية من نواحي بغداد على شاطئ دجلة)، وكان يرى في الشّمّاس أخصاً له، وفي القسيس أباً، وفي الدير وطناً، ولأجل هذا الوطن سيكون مستعداً للبس الصليب. يقول:

يا دير قوطا لقد هيّجت لي طربا

أزاح عن قلبي الأحزان والكربا

كم ليلة فيك واصلت السرور بها

لما وصلت به الأدوار والنخبا*

في فتية بذلوا في القصف ما ملكوا

وأنفقوا في التصابي القرض والنشبا**

وشادن ما رأت عيني له شبيهاً في الناس لا عجماً منهم ولا عربا

إذا بدا مقبلاً ناديت: واطربا

وإن مضى معرضاً ناديت: واحربا

أقمت بالدير حتى صار لي وطناً

من أجله ولبست المسح والصلبا

وصار شماسه لي صاحباً

وصار قسيسه لي والداً وأبا. ص 36.

أمّا الشاعر محمد بن أبي أمية، وكما يذكر ياقوت الحموي في معجمه (معجم البلدان)، فإنّه كان يتردّد على دير الجاتليق (قرب بغداد في غربي دجلة)، ليصادق الفتية المسيحيين وينادهم، ويتغرّل بجمالهم. يقول:

تذكرت دير الجاتليق وفتية

بهم تمّ لي فيه السرور وأسعفا

بهم طابت الدنيا وأدركني المنى

وسالمني صرف الزمان وأتحفا

ألا ربّ يومٍ قد نعمت بظّله

أبادر من لذّات عيشي ما صفا

أغازل فيه أدعج الطرف أعيدا

وأسقى به مسكية الريح قرقفا***

وفي الفصل الرابع عشر يشير الملوحى إلى أنّ أربع خلفاء من خلفاء المسلمين أحبّوا وتزوّجوا أربع نساء نصرانيات، وهم: عثمان بن عفان، ومعاوية بن أبي سفيان، والوليد بن يزيد الأموي، والمتوكّل بن المعتصم العبّاسي.

فالخليفة عثمان بن عفان تزوّج نائلة بنت الفرافصة ابن الأحوص، ومعاوية بن أبي سفيان تزوّج ميسون بنت بحدل الكلبيّة، والخليفة الوليد بن يزيد يعشق امرأة نصرانية اسمها سعدى، ثم يتزوّجها، والخليفة المتوكّل العبّاسي يتزوّج ابنة أحد رهبان الشام، واسمها شعانين. ومن الملاحظ أنّ غير امرأة من هاته النسوة كانت تحنّ إلى ديار أهلها، وتتوق للرجوع إلى هذه الديار، فها هي نائلة بنت الفرافصة زوج عثمان بنت عفان تكره الغربية، وتحزن لفراق أهلها، وتقول لأخيها ضبّ:

ألسـت ترى يا ضبّ بالله أنـني

مصاحبة نحو المدينة أركبا

إذا قطعوا حزناً تحنّ ركابهم

كما حركت ريح يراعاً مثقبا

لقد كان في أبناء حصن بن ضمضم

لك الويل ما يغني الخباء المطنبا

قضى الله أن تموتي غريبة

بيثرب لا تلقين أمّاً ولا أباً. ص 40

وها هي ميسون بنت بحدل الكلبيّة أم يزيد بن معاوية تنفر من قصور معاوية بن أبي سفيان، ومن مظاهر الأبّهة فيها، وتحنّ إلى مسقط رأسها في البادية، وتنشد قائلة:

لبيت تخفق الأرواح فيه

أحبّ إليّ من قصر منيف

ولبس عباءة وتقرّ عيني

أحبّ إليّ من لبس الشفوف

وأكل كسيرة في كسر بيتي

أحبّ إليّ من أكل الرغيف

وكلب ينبح الطراق دوني

أحبّ إليّ من قط ألوف

وأصوات الرياح بكل فجّ

أحبّ إليّ من نقر الدفوف

وخرق من بني عمي نحيف
أحب إلي من عالج عليف
خشونة عيشتي في البدو أشهى
إلى نفسي من العيش الظريف.

فلما سمع معاوية الأبيات قال لها: ما رضيت يا ابنة بحدل حتى جعلتني علجاً
عليفاً. وقال لها: كنت فبنت، فقالت: لا والله ما سررنا إذا كنا ولا أسفنا إذا بنّا. ص
41.

ويذكر ابن داوود الأنطاكي الطبيب الأعمى في كتابه: «تزيين الأسواق في
أخبار العشاق» أنّ الوليد بن يزيد «عشق نصرانية، وراسلها فأبت عليه، فكاد أن
يطيش عقله، فتنكر يوم عيد للنصارى، وباع صاحب بستان تنتزّه فيه بنات
النصارى فأدخله، فلما رآته قالت للبواب: من هذا؟ قال لها: مصاب، فجعلت
تمازحه حتى اشتمى بالنظر إليها، فقيل لها أتدريين من هذا؟ قالت لا. قالوا لها: هو
الخليفة، فأجابت حينئذٍ وتزوج بها، وفيها يقول:

أضحى فؤادك يا وليد عميدا
صباً قديماً للحسان صيودا
من حبّ واضحة العوارض طفلة
برزت لنا نحو الكنيسة عيدا
ما زلت أرمقها بعيني وامق
حتى بصرت بها تقبل عودا
عود الصليب فويح نفسي من رأى
منكم صليباً مثله معبودا. ص 42.

ويشير ياقوت الحموي في معجمه إلى أنّ الوليد بن يزيد، كان يتردد على أديرة
النصارى، ليقيم فيها لاهياً ماجناً شارباً غير هيّاب ولا وجل، فها هو يتردد على
أحد أديرة دمشق «دير بونّا»، ليقيم فيه، ويتأمل نساءه الجميلات، ثمّ ينشد قائلاً:

حبذا ليّلتى بدير بونّا
حيث نسقى شرابنا ونغنى
كيف ما دارت الزجاجة درنا
يحسب الجاهلون أنّا جننا
ومررنا بنسوة عطرات
وغناء وقهوة، فنزلنا

وجعلنا خليفة الله فطروس

مجوناً، والمستشار يُحنّا*

فأخذنا قرباتهم ثم كَفَرْنَا

لصلبان ديرهم فكفَرْنَا**

واشتهرنا للناس حيث يقولون

إذا خَبِرُوا بما قد فعلنا. ص 44

وهاهو الخليفة العباسي المتوكل يسافر إلى دمشق، ويمرّ على الكنائس والرياض يتنزّه فيها، ويشاهد النصرانية «شعانيين»، ابنة راهب إحدى الكنائس، فيعشقها، ويقول لها: «إن هويتك تساعديني؟ فقالت: أنا الآن بإمرتك، وأمّا إذا صدق المحبّ في المحبّة فما أخوفني من الطغيان. أما سمعت قول الشاعر:

كنت لي في أوائل الأمر حباً

ثمّ لما ملكت صرت عدوا

أين ذاك السرور عند التلاقي؟

صار مني تجنباً ونبوا

فطرب حتى كاد يشقّ ثوبه، ثمّ قال لها: هبيني نفسك اليوم، فصعدت به إلى غرفة مشرفة على الكنائس، وجاء الراهب بخمر لم ير مثله، فلمّا أخذ منه الشراب أحضرت آلة وغنّت:

يا خاطباً مني المودة مرحباً

روحي فداؤك لا عدمتك خاطباً

أنا عبدة لهواك فاشرب واسقتني

واعدل بكأس عن جليسك إذ أبى

قد والذي رفع السماء ملكتني

وتركت قلبي في هواك معذباً.

فأرغبها حينئذ فأسلمت وتزوّجها فكانت من (أعزّ) النساء عنده». ص 46.
أمّا أمير الأندلس عبد العزيز بن موسى بن نصير، فإنّه يتزوّج نصرانية إسبانية، وهي زوجة لذريق المكناة أم عاصم: «وكانت قد صالحت على نفسها وأموالها وقت الفتح، وباءت بالجزية، وأقامت على دينها في ظلّ نعمتها إلى أن تزوّجها الأمير عبد العزيز فحظيت عنده ويقال إنّه سكن بها في كنيسة بأشبيلية». ص 48.

وفي الفصل الخامس من الباب الأول الموسوم بـ «المسلمون وحبّ الفتيات النصرانيات»، يعرض الملوحى لعدة حالات من التراث العربي تؤكّد مدى الحبّ

العميق بين الرجال المسلمين والنساء النصرانيات، هذه الحالات التي دفعت هؤلاء الرجال لأن ينشدوا أشعاراً جميلة في هاته النساء، ولأن يلجأوا أحياناً إلى تطبيق نسايمهم حباً بهذه النساء، وامثالاً لأوامرهنّ، فخالد بن يزيد بن معاوية (000 - 90 هـ/000-708 م) كان حكيم قريش وعالمها، وكان فاضلاً في نفسه، وله همّة ومحبّة للعلوم، إلاّ أنّه أحبّ رملة بنت الزبير بن العوّام (النصرانية)، حباً ملاً عليه حياته. وعندما أرسل خاطباً لها اشترطت على الرسول: «لا والله أو يطلق نساءه» فما كان منه إلاّ أن طلق امرأتين كانتا عنده، إحداهما من قريش والأخرى من الأزد، فتزوّجها وضمن بها إلى الشام. ص 51.

وها هو يعلن حبّه لرملة ومدى كلفه بها، واستعداده لأن يتنصّر إكراماً لها. يقول:

أحنّ إلى بنت الزبير وقد علت
بنا العيس خرقاً من تهامة أو نقبا*
أحبّ بني العوّام طراً لحبّها
ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا
تجول خلاخيل النساء ولا أرى
لرملة خلخالاً يجول ولا قلبا
أقلّوا عليّ اللوم فيها فإني
تخيرتها منهم زبيرية صلبا
فإن تسلمي نسلم وإن تنصري

تخطّ رجال بين أعينهم صلبا. ص 54

وهاهو أحد رجال المسلمين يمثل لأمر امرأة نصرانية، فيكوي على رأسه صليباً تعلقاً بها. يقول الصفيدي في تاريخه عن هذا الرجل: « رأيت بحمّة رجلاً وافر الحظّ من الخطّ، وقد أوثقه المؤيد (ملك حمّة) ليكتب عنده، فكان لا يمكنه من الخروج، فحكي أنّه علق نصرانية بشيزر(قلعة أسامة بن منقذ) فكان يكتب إلى المغرب بحمّة ثمّ يذهب إليها فيجلس معها إلى الصباح وأقام على ذلك طويلاً. وقالت له يوماً: - إن أحببتني فاكو على رأسك صليباً، ففعل، وأنا رأيتّه.» ص 56.

وهاهو أحد المسلمين يعشق نصرانية، ويلثم صليبها كما جاء في كتاب تزيين الأسواق في أخبار العشاق، لداوود الأنطاكي، فقد «حكي عن ابن العباس بن الفضل أنّه عشق نصرانية بدير (سرماجيس) فكان لا يفارق البيع شغفاً بها، فوجدها يوماً في بستان فجلست معه أسبوعاً، فقال في ذلك:

قد خلونا بظبيه نجتليه

وسط بستان دير سرماجيس

يتثنى في حسن جيد غزال

في صليب مفضض أنبوس

كم لثمت الصليب في الجيد منها

كهلال مكلل بشموس. ص 59

وهاهو مسلم آخر يحب نصرانية، ويتغزل بها مادحاً عينيها الزرقاوين، كما ورد في عيون الأخبار لابن قتيبة:

يقولون: نصرانية أم خالد

فقلت: دعوها، كل نفس ودينها

فإن تك نصرانية أم خالد

فقد صورت في صورة لا تشينها

أحبك إن قالوا: لعينيك زرقة

كذاك عتاق الطير زرقة عيونها. ص 60

و هاهو عاشق آخر يرمز بإحدى النساء، العفيفات، ويراودها عن نفسها، فتلقنه درساً في العفة، فيتوب إلى ربّه، فقد جاء في مصارع العشاق لجعفر بن أحمد السراج البغدادي، أنّ رجلاً مرّ « براهبة من أجمل النساء فافتتن بها فتلطّف في الصعود إليها فأرادها على نفسها فأبّت عليه وقالت: لا تغترّ بما ترى، فليس وراءه شيء، فأبى حتى غلبها على نفسها وكان إلى جانبها مجرة لبّان فوضعت يدها فيها حتى احترقت، فقال لها بعد أن قضى حاجته منها: ما دعاك إلى ما صنعت؟ قالت: إنك لما قهرتني على نفسي خفت أن أشركك في اللذة فأشركك في المعصية ففعلت ذلك لذلك.

فقال الرجل: والله لا أعصي الله أبداً.

وتاب مما كان عليه». ص 61.

أمّا الباب الثاني من الكتاب فهو بعنوان: الحبّ الشاذ، أو ما يسمى بمفردات المعاجم المعاصرة: الشذوذ الجنسي HOMOSEXUALITÉ. وقد جمع الباحث عبد المعين الملوحي في هذا الباب، من كتب التراث العربي، مجموعة من أخبار الرجال المسلمين الذين عشقوا عشقاً جنسياً غلماناً من النصارى، ويشير هذا الباب إلى أنّ الشذوذ الجنسي انتشر في العصور العباسية والعصور المتأخرة انتشاراً واسعاً بين جميع أفراد الطبقات في المجتمعات.

ويبدو أنّ هذا الانتشار كان في بنيته العميقة نتيجة لانفتاح المجتمعات العباسية على الحضارات المتعاقبة والتمترامنة مع هذه المجتمعات، والتي كان لها تأثير واضح على المجتمعات العباسية، في ثقافتها وسياستها، وتركيبتها المجتمعية، وبالتالي في تركيبها الذهنية والنفسية، ومقاييسها الجمالية الجنسانية الخاصة التي تشكّلت بفعل هذه المؤثرات الوافدة.

أمّا الباب الثالث من الكتاب فيخصه الباحث لأخبار مدرك الشيباني وحبيبه عمرو، فمدرك الشيباني هو ابن محمد، نسبه إلى بني شيبان «عرب ببادية البصرة، دخل بغداد صغيراً ونشأ بها، فتفقه وأحسن العربية والأدب والخط، وكان كثيراً ما يلّم بدير الروم من الجانب الشرقي ببغداد، وكان في دير الروم غلام من أولاد النصارى يقال له عمرو بن يحيى (يوحنا) وكان من أحسن الناس صورة وأكملهم خلقاً، وكان مدرك بن محمد يهواه». ص 84.

وينفرد الباب الثالث ليثبت تلك القصيدة الطويلة ذات المائة بيت التي يتغزل فيها الشاعر مدرك الشيباني بعمرو بن يحيى، ونقتطف من هذه القصيدة ما يلي:

من عاشقٍ ناءٍ هواه دان،

ناطقٍ دمعٍ صامتٍ اللسان

موثقٍ قلبٍ مطلقٍ الجثمان،

معذبٍ بالصدِّ والهجران

من غيرِ ذنبٍ كسبت يداه،

غيرِ هوىٍ نمت به عيناهُ

شوقاً إلى رؤيةٍ من أشقاه،

كأتما عافاه من أضناه

إلى غزالٍ من بني النصارى،

عذارٍ خديه سبى العذارى. ص 90.

أمّا الباب الأخير من الكتاب فهو بعنوان: عرس وماتم، وفي هذا الباب يتناول الباحث تلك العلاقة الحميمة التي جمعت الشاعر ديك الجنّ الحمصي (عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب الكلبي) بحبيبته الجارية النصرانية ورد، ثم زوجته في ما بعد، فقد أحبّ ديك الجنّ ورداً حباً ملاً كيانه، فتزوجها، ثم شكّ فيها، فقتلها، ثم ندم فيما بعد ندامة رافقته طوال حياته، بعد أن تأكّد أنّ كلّ الوشايات التي قيلت فيها كانت ظلماً وبهتاناً.

لقد كانت ورد بالنسبة لديك الجنّ مثلاً جالياً مليئاً بالفتنة الأخاذة والإثارة، أنّه جمال الأنثى في تشكّلاته، وتلويناته المتعدّدة، والذي ينسكب هادئاً شفيفاً ليوشح

الحببية ورداً. وهاهو الشاعر ديك الجنّ الحمصي يشكّل لوحة فاتنة لهذه المرأة التي تمثّل كلاً جمالياً متعدّداً يجمع صفات جمالية كثيرة متوافرة في نساء عصره. يقول واصفاً مفاتنها:

انظر إلى شمس القصور وبدرها
وإلى خُزامها وبهجة زهرها
لم تَبَل عينك أبيضاً في أسود
جمعَ الجمال كوجهها في شعرها
وردية الوجنات يختبر اسمها
من ريقها من لا يحيطُ بخبرها
وتمايلت فضحكُ من أردافها
عجباً ولكني بكيت لخصرها
تسقيك كأس مدامة من كَفِّها

وردية، ومدامة من ثغرها. ص 106

ولم يستطع ديك الجنّ أمام هذا الجمال الأثر أن يضبط غيرته، فانفجرت شكاً مدمراً بصاحبة هذا الجمال، بعد أن تسرّبت إليه أخبار من ابن عمّه أبي الطيب تشير إلى خيانتها الجنسيّة له، فما كان منه إلا أن قتلها، ثم رثاها رثاءً فاجعاً حزيناً، نادماً:

أساكنَ حفرة وقرار لحد
مفارق خلة من بعد عهد
أجبنني إن قدرت على سؤالي
بحقّ الودّ كيف ظللت بعدي
وأين حللت بعد حلول قلبي
وأحشائي وأضلاعي وكبدي
أما والله لو عاينت وجدي
إذا استعبرث في الظلماء وحدي
وجدت تنفسي وعلا زفيري
وفاضت عبرتي في صحنِ خدي
إن لعلمت أني عن قريب

سُحْفَرُ حَفْرَتِي وَيُشَقُّ لِحْدِي. ص 113

وينتهي كتاب « الحبّ بين المسلمين والنصارى في التاريخ العربي » ليثير أسئلة عديدة عند قرائه، وربّما يكون منها:

هل استطاعت المجتمعات العربية المعاصرة في وقتنا الراهن أن تحافظ على العلاقات الوديّة والإنسانيّة بين المسلمين والمسيحيين، والتي كانت حقيقة قائمة في العهود الماضية؟ وهل امتزج المجتمعان الإسلامي والمسيحي ثقافياً ومعرفياً وتزاوراً إنسانياً وبشرياً، كان من شأنه أن يلغي الحساسيات المذهبيّة والطبقيّة بين هذين المجتمعين؟ وهل تستطيع الكتابات العربية المعاصرة في وقتنا الحالي أن تسجّل بجرأة معرفية أخبار الحبّ والعشق في المجتمعين الإسلامي والمسيحي؟ وغيرها من الأسئلة الأخرى.

الملوحي، عبد المعين: الحب بين المسلمين والنصارى، الناشر: دار
الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى